الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة دكتور مولاي الطاهر – سعيدة–

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

تخصص لسانيات عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في لسانيات عامة الموسومة بـ:

التماسك النصي في القصص القرآنية

– سورة يوسف نموذجا –

إعداد الطالبة:

بودية سهام.

تحت إشراف الأستاذ:

كريم بن سعيد.

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
الأستاذ د. زحاف جيلالي	د. مولاي طاهر – سعيدة –	رئيسا
الأستاذ د. كريم بن سعيد	د. مولاي طاهر – سعيدة –	مشرفا ومقررا
الأستاذ د. مجاهد تامي	د. مولاي طاهر – سعيدة –	مناقشا

1439–1440هـ/ 2018– 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من سلك طريقا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضاء لطلب العلم، وإنّ العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنّ العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر.

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين هو أهل الحمد والثناء أذكره ذكرى من خاف مقام ربّه فعرف قدر نفسه امتثالا، لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ سورة البقرة الآية 152.

وقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم الآية 07.

لا يسعني إلاّ أن أتقدم باسمي عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور **"كريم بن سعيد"** لتفضله بقبول الإشراف على هذا البحث وقراءته، فبذل معي جهدا في تتبع هذا العمل منذ بدايته سواء من خلال ملحوظاته القيمة التي أغنت وقومت البحث، وتوجيهاته السديدة خدمة للبحث العلمي والرقي به.

وكل الاحترام والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة كل باسمه ومقامه على تفضلهم وقبولهم قراءة بحثي وتقويمه.

الإهداء

إلى من خصه الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطفها من بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد.

*** إلى والدي العزيز***

إلى التي عندما حملتني فرحت وصبرت، وعندما أنجبتني تألمت وعندما ربتني تعبت وعانت وعندما مرضت سهرت، وإلى من تعجز الكلمات عن وصف حنانها وتخجل الألفاظ عن شكر عطائها.

إلى أمي العزيزة

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحنان والتفاني...إلى سيمة الحياة وسر الوجود...إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة وما تزال ترافقني حتى الآن...إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي.

*** إلى أختي وأمي صورية ***

إلى الذي غمرني بصدقه ووفائه ولم يبخل عليا بجوده وكرمه، إلى الذي تركع له الكلمات انحناء وتقديرا، إلى ذلك النور الساطع في الظلمات، إلى الذي إذا طلبت شيئا تختفي الصعاب عن طلبي.

*** إلى زوجي ياسر ***

"بودية سهام"

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، والذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، رسول ربّ العالمين وخيرته من خلقه، خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

في ظل هذا التطور الذي يشهده العالم باستمرار في جميع المجالات، تواجه المجتمعات مشكلات وتحديات تفرض علينا ضرورة التغيير على جميع الأصعدة، فكثرة الأبحاث التي تنادي بضرورة التجديد والتطوير في حقل الدراسات اللغوية تبعا لتعدد مناهج الدرس اللغوي الحديث ومسايرة التحولات الطارئة والتعايش معها.

لذا حظيت اللغة باهتمام بالغ من قبل الباحثين الذين حاولوا الإحاطة بجميع أسرارها، فتبنوها كلٌّ حسب انتمائه ومرجعياته.

وما فتئت النظريات اللغوية حتى برزت المذاهب والمدارس التي تباينت في طريقة تناولها للظاهرة اللغوية، لكنها لم تختلف في أهدافها لأنّها تهدف إلى خدمة اللغة وإثراء المعرفة الإنسانية.

فكانت الجملة مركزا للدراسة عند جميع الباحثين على اختلافهم ليستمر انبثاق النظريات اللغوية، فظل التعامل مع الجملة على أنّها أكبر وحدة لسانية قابلة للتحويل لفترة زمنية طويلة، على الرغم من ظهور بعض الآراء الداعية إلى ضرورة تجاوز مستوى الجملة، لأنّ الاعتماد عليها أصبح لا يفي بالغرض المنشود، نظرا لقصور التحليل الجملي من جوانب شتى، فالجملة يمكنها أن تكون أكبر وحدة لغوية قابلة للتحويل القواعدي النحوي ولا تتجاوزه إلى مستوى أكبر.

وبما أنّ اللغة تعد من أهم وسائل التواصل، ولكونها كذلك فهي لا تقف عند حدود الجملة من جهة، ومن جهة الثانية فإنّ التواصل بين الناس لا يتم بجملة معزولة ولا بكلمات متفرقة مبعثرة، بل يتم التواصل عن طريق نصوص وخطابات ذات أبنية تخضع للتماسك.

ومن هنا بدأت الأنظار تتجه إلى النصوص بدل الجملة، وأصبحت الجملة عنصر من عناصر النص وإحدى مكوناته، فالنص عبارة عن متتاليات من الجمل تربط بينها علاقات شتى.

واتجه هذا الفرع اللساني الجديد إلى البحث في نصية النصوص؛ أي في الوسائل التي تجعل النص متماسكا ومتلاحما ومتسقا، وبالتالي هذه الأدوات أو الوسائل عدّت من أهم العناصر التي وجب البحث فيها وكشف حقيقتها، لما لها من دور فعال في ربط أجزاء النص.

وفي ضوء هذا الطرح اللساني النصي، تظافرت جملة من الأسباب ساهمت كلها وبشكل كبير في اختياري لموضوع البحث فهو راجع لرغبتي في الخوض في مضمار لسانيات النص، وكذا محاولة الكشف عن أهم محاور علم اللغة النصي وتجسيدها في موضوع بحثي الموسوم بالتماسك النصي في القصص القرآنية سورة يوسف نموذجا وقد وقع اختياري عليها لمناسبتها لموضوع الدراسة، بالإضافة إلى تعدد الظواهر اللغوية فيها، وهذا ما يسمح بتقديم دراسة ممنهجة، مما يجعله ميدانا خصبا للدراسة ولا يخفى علينا أنّ دراسة القرآن الكريم من أسمى الدراسات وأشرفها وأقربها إلى النفس وأدلها على مراتب الكمال، لأنّها توقظ مكامن النفس فتسوقها إلى التدبر، وتحيي فيها روح التأمل.

أما إشكالية البحث فقد جاءت في شكل تساؤلات: ما مفهوم التماسك النصي؟ وماهي المعايير التي يستقيم بها النص؟ أو ما هي المطالب الرئيسية التي ينبغي تحقيقها وما مدى نجاحها في إبراز نصية النص؟ واين تتجلى هذه الآليات في سورة يوسف عليه السلام؟

وبغية الوصول إلى نسبة معينة من الحقيقة حول هذا الموضوع قد حتم علينا تعدد الفصول وتميزها وضرورة الالتزام بالمخطط المقترح من البداية، أن يوزع البحث على ثلاثة فصول يتضمن كل فصل ثلاث مباحث، تستصدرها مقدمه وتتعقبها خاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع.

فأما الفصل الأول خصصته لماهية لسانية النص وكان هذا الأخير ينطوي على ثلاث مباحث، أولها مفهوم لسانية النص وأهم مقارباتها في حين كان المبحث الثاني منهجية لسانيات النص، أما المبحث الثالث طبيعة الدراسة النصية.

كما وسم الفصل الثاني ماهية التماسك النصي وقد جمعت فيه معلومات تفرعت حسب العناوين التالية:

أولها: التماسك النصي مفهومه وأهميته وفي المبحث الثاني تناولت فيه الاتساق مفهومه وآلياته، أما المبحث الثالث الانسجام مفهومه وآلياته، وعرجت في الفصل الثالث للحديث عن آليات التماسك النصي في سورة يوسف، فركزت في المبحث الأول على آليات الترابط التركيبية، أما المبحث الثاني على آليات الترابط المعجمية والثالث عنونته بآليات الترابط الدلالية.

ولتحليل هذا الموضوع اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي من خلال حديثي عن قضية التماسك النصي وآلياته تحليلا ومناقشة، مستعينة أيضا بالمنهج الإحصائي وكانت لي جملة من الكتب التي استقيت منها المادة المعرفية بمثابة الدعم الكبير لإنجاز هذه المذكرة والتي رسمت لي أفكار استفدت منها في دراستي بشكل واضح، ومن بين تلك المؤلفات جميل حمداوي محاضرات في لسانيات النص، وكتاب صبحي الفقي لسانيات النص بين النظرية والتطبيق، وكتاب لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد الخطابي.

ورغم لكل ما واجهته إلاّ أنّني عزمت على تحقيق هذا الهدف الذي أسموا وأفتخر بإنجازه، ولكي لا أنسى بشكر أستاذي المشرف كريم بن سعيد كان له الدعم الكبير في إنجاز هذا البحث، وإنّني آملت أن يكون ما أضمنه في دراستي هذه مفاده لكل معتز بلغته العربية وبدينه الإسلامي.

وإنّ هذا ما أمكننا الوصول إليه فإن وفقنا فبعون الله، وإن أخطأنا نسأل الله أن يسدد خطانا إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مدخل

(مفاهيم أولية)

أولا: مفهوم النص:

قبل الشروع في البحث عن أي حقل من الحقول المعرفية لابد من تحديد مفهوم المصطلح الذي من خلاله نتمكن من رسم حدوده والإطار الذي يتحرك فيه، ونحن نباشر في تعريف النص لابد أن نتطرق فيه إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي، هذا ما يجعلنا نؤصل لهذا المفهوم، ونكوّن عنه فكرة شاملة تحمل في طياتها مجموع الرؤى والمعتقدات من مختلف المرجعيات المعرفية.

1- المفهوم اللغوي:

لكلمة نص في المعاجم والكتب اللغوية دلالات كثيرة ومتعددة، سنكتفي منها بذكر ما يخدم هدفنا، المتمثل في الوقوف على معنى النص بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح.

1- النص في لسان العرب: رَفْعُكَ الشيء نصَّ الحديث ينُصُّه نصًّا، رفعه وكل ما قد أظهر فقد نص، وهو أقصى الشيء وغايته، ومنه نص الناقة؛ أي استخراج أقصى سيرها ونص الشيء منتهاه.[1]

2- أما في أساس البلاغة فهو يفيد الرفع: فالنص رفعك الشيء نص الحديث ينصه نصًا: رفعه.[2]

3- وهو في القاموس المحيط: المنتهى والاكتمال، حيث يعلق الفيروز أبادي على قول علي أبي طالب – كرّم الله وجهه- «إذا بلغ الثناء نص الحقاق فالعصبة الأولى»[3]؛ يقصد بذلك الإدراك والغاية

بناء على ذلك يرى محمد الصغير بناني بأنّ النص الحقاق هو المنتهى: الاكتمال القدرة والنضج.[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعرفة، مصر، ج6، مادة نص، ص 444.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، القاموس المحيط، بيروت، دار المعارف بيروت، 1982م، مادة نص، ص 822.

[3] الفيروز أبادي: مجد الدين محمد: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد الثاني، ص 131.

[4] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، ص 17.

4-الجرجاني يعرّفه فيقول: «النص ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في التكلم، إنّه ما لا يحتمل التأويل»[1]؛ ويعني به أنّه ما اختلف عن ذلك لا يعد نصا، فإنّه يشترط فيه الوضوح والصراحة في دلالة ألفاظه سواء كانت خفية أم باطنة متطابقة مع دلالته الظاهرية.

5- في علم الأصول وكتب التفسير المراد بالنص هو مطابقة اللفظ للمعنى، المعنى الذي يجعل كل عبارة أو ملفوظ نصا، هذا ما انطلق منه الفقهاء عندما قالوا عن معنى النص في القرآن والسنة أنّه هو «ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام»[2]

يتضح مما ورد أنّ للنص معاني تدور حول المحاور التالية: الرفع والإظهار والوضوح والاكتمال، أما الرفع فنقصد به الإشارة إلى رفع الكاتب نصه وتحليله بوضوح حتى يستوعبه المتلقي، أما عن الإظهار فهو الإشارة إلى إظهار الكاتب نصه إلى المتلقي بصورة كاملة وواضحة تمكنه من إدراك فحوى النص.

2- المفهوم الاصطلاحي:

إنّ المفهوم الاصطلاحي لكلمة نص مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر، فهو ليس وليد هذا الفكر، إنما كغيره من مفاهيم كثيرة وافد علينا من الحضارة الغربية، مما جعل البحث عن أصوله ليس بالأمر الهين، لأنّه يشكل نقطة تقاطع العديد من المجالات المعرفية التي تشترك في النص، الأمر الذي استدعى ظهور علم جديد أو اتجاه بحثي باستطاعته احتواء هذا التداخل الفكري والمعرفي.

ويقول في هذا الصدد الدكتور سعيد بحيري معبرا ومصورا لهذه المسألة: «لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لعلم لغة النص، حيث أنّه حتى الآن لم يتحدد بدرجة كافية بل إنّه مسمى للاتجاهات وتصورات غاية في التباين، ونتيجة لذلك فإنّه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية؛ أي اتفاق بين الباحثين إلاّ

[1] عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، المفهوم- العلاقة- السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص 36.

[2] محمد عمار: النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد، نهضة مصر، ط1، 2007م، ص 16.

بقدر ضئيل للغاية...وأبسط مثال يضرب في هذا المقام عدم وجود قدر مشترك من ملامح التوافق حول مصطلح النص ذاته، بل إنّنا قد نجد لدى باحث واحد بعينه في عمل واحد أكثر من موضع عدد من التعريفات، ويختلف محتوى كل تعريف عن الآخر»[1]، هذا يعني أنّ قضية البحث عن النص قضية غامضة ومبهمة تصل إلى حد التناقض في الكثير من الحالات، إذ تجد باحث واحد يرصد العديد من التعاريف التي تزيد من التشابك والاختلاف في صوره وضبط مفاهيمه، ففي الواقع ليس هناك تعريف جامع مانع لغيره من التعريفات، مبدئيا ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص بأنّه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، ينقل بدوره رسالة نتوجه بها إلى هدف معين، نقصد به تغير موقف إنساني أو اجتماعي أو غير ذلك.

ومن ثم فالنص في دلالته الحقيقية «عبارة عن نسيج من الجمل المتضامة والمتضافرة والمتجادلة والمتواكبة والمتتابعة، لا يمكن فهمه إلاّ بتتبع ملفوظاته واستقصائه جملة جملة، بغية إدراك المعنى والغاية والمنتهى والفائدة المرجوة»[2]، أما النص في الثقافة الغربية «فيعني نسيجا لفظيا أو مكتوبا في شكل جمل وفقرات ومتوالية مترابطة ومتراصة ومتسقة ومنسجمة»[3]؛ أي أنّ النص بناء كلي متسق ومنسجم ومتشاكل خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية، فالنص ليس له طول محدد إلاّ في الشعر، فالمقاربة التي تهتم بدراسة النص هي لسانيات النص.

بعد الإمعان في تعريفات النص التي رسمها الباحثين يتضح أنّ النص يدور حول المحاور الآتية:

[1] يسرى نوفل: المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014م، ص 15.

[2] جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، ط1، 2015م، ص 6.

[3] المرجع نفسه، ص 6.

1- الاهتمام بشكل النص، وهو ما يطلق عليه اتساق النص ويرى بعض الباحثين أنّ النص بنية مترابطة من الجمل.

2- الاهتمام بدلالة النص؛ أي باتساقه وانسجامه ولابد من توافر هذين الشرطين في بناء النص، يعني أن يكون النص متسقا في شكله وطريقة صياغه ليعطي دلالة واضحة، فكلما كانت أجزاؤه منسجمة كلما تحقق الترابط بين عناصرها واشتدت علاقاتها الدلالية مع بعضها البعض، ولعلى أشهر من دمج بين الشكل والدلالة أو بين السبك والحبك هو الأمريكي دي بوجراند، حيث صاغ لنا تعريفا جامعا للنص زوده بسبع معايير تحقق النصية في اللفظ اللغوي ألا وهي: «السبك والحبك، الالتحام، القصد، القبول أو المقبولية، الإخبار أو الإعلامية، المقامية، التناص».[1]

3- اعتماد النص وشموليته للمنطوق والمكتوب، كما يرى بعض الباحثين الذين يركزون في نظرتهم للنص بأنّه امتداد واضح يشمل الكلمة أو الجملة أو الفقرة أو المقال، وأشهر من يميل إلى هذا الاتجاه هاليداي ورقية حسن «فقد تبين لها أنّ كلمة النص تستخدم في علم الإشارة أو في أي فقرة منطوقة أو مكتوبة».[2]

4- تواصلية النص؛ أي أنّ النص يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي، إذ يركز الكثير من الباحثين على وظيفة النص التواصلية، هذا ما تبناه هرتمان وجعل منه موقفا أساسيا إذ يقول: «النص علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الإتصالي بحيث ربط النص بالوظيفة الاتصالية».

[1] روبرت دي بوجراند: ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، مصر، 1998م، ط1، ص 103- 104.

[2] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 22.

ثانيا: النص من التراث إلى المعاصر:

1- النص في الثقافة العربية:

سبق أن ذكرنا أنّ العرب لم يعرفوا في تاريخهم ممارسة نصية تامة، باستثناء ممارسة نصية مع القرآن الكريم، فنحن لا نكاد نعثر على دلالة من الدلالات التي يعرّف بها النص في الدراسات النقدية الحديثة.

قد ورد في لسان لابن منظور في مادة نصص ما يأتي:

النص: رَفعُك الشيء، نصَّ الحديث ينصُّه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص[1]، بمعنى رفعه وأشده إلى قائله عبر الرواة الذين تناقلوا الحديث عن المروى عنى.

ونص الحديث، بمعنى قراءه قراءة نصية، مبينا من خلالها الاختلاف والتمايز مع غيره من الأحاديث الأخرى، وقال عمر بن دينار: «ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزهري؛ أي أرفع له وأسند، وكذلك نصصه إليه ونصت الظبية جيدها رفعته، وأصل النص أقصى الشيء وغايته»[2]، ونص الشيء بمعنى رفعه لعلوا ويصبح بمثابة الشيء العالي أو البارز الظاهر الذي يختلف عن باقي الاشياء الأخرى، لذلك فنص الشيء بمعنى حرّكه ليزيحه من موضعه؛ أي لينقله من موضع إلى آخر، ويقول ابن الاعرابي: «النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والنص التوفيق، والنص التعيين على شيء ما، ونص كل شيء منتهاه، ومنه قول الفقهاء نص القرآن ونص السنة؛ أي ما دال ظاهر لفظيهما عليه من الأحكام، ونص الشيء حركه ونصنصة لسانه إذا حركه، والنصنصة تحرك البعير إذا نهض من الأرض».[3]

قد اختلف الباحثين حول أصل مفهوم النص عند العرب منهم من أرجعه إلى فكرة الرفع والإظهار؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه، والبعض الآخر أكد على عدم مناسبتها للدلالة الغربية التي يبدو فيها معنى النص مفهوما جليا

[1] ابن منظور، المرجع السابق، ص 444.

[2] المرجع نفسه، ص 446.

[3] عبد القادر شرشال: تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، الجزائر، ط1، 2009م، ص 31.

واضحا ومنطقيا، بحيث يحيل على النسيج ويوحي بالقصد، ولعله يوحي أيضا بالاكتمال والاستواء، والمقصود بالنسيج القيام بمجموعة من العمليات نتمكن من خلالها ضم الشيء إلى شيء، وبمعنى أدق هو كلاًّ تركيبيا يقوم على مجموعة من الوحدات المتراصة والمتماسكة التي لا يمكن الفصل بين أجزائها بغية تحقيق الصورة الكاملة المنسجمة، فهذا كله إنما يدل على أنّ النص عند العرب يختلف تماما على المعنى الذي يقصده الباحثين الغرب.

على الرغم من كثرة استخدام كلمة نص في كتابات السلف الأصوليين نظرا لاهتمامه بكتاب الله عز وجل القرآن الكريم، إلاّ أنّه يبقى مصطلح لم يشهد اهتماما كبيرا من قبل علمائنا العرب في المؤلفات القديمة، الأمر الذي يشير إلى ندرة العناية بتعريفه إلى أن ظهر علم النص الذي كانت فيه بعض المحاولات المثمرة في هذا المجال.

2- النص في الثقافة الغربية:

حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة نص في اللغات الأوربية، فإنّنا نجد كلمتي: text، texte مشتقين من كلمة textus بمعنى النسيج tissu المشتقة بدورها من texere بمعنى النسج.[1]

المقصود بذلك أنّ النص مرتبط بمفهوم النسيج والحباكة، لما يبذله الكاتب من جهد في ضم الكلمة إلى كلمة والجملة إلى جملة، وكذلك ما يبذله من جهد في تنظيم وترتيب أجزائه مع مراعاة جميع العلاقات التي تربط بين وحداته مكوننا كلاً منسجما مترابطا.

أما فيما يخص مفهوم النص في اللسانيات الحديثة هذا ما ذكره عدنان ذريل أنّ قاموس الألسنة الذي أصدرته مؤسسة لاروس «إنّ المجموعة الواحدة من الملفوظات؛ أي الجمل حين تكون خاضعة للتحليل تسمى نصًا، فالنص عينة من السلوك الألسني، وإنّ هذه

[1] عبد القادر شرشال، المرجع السابق، 33.

العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو محكية»[1]، هذا الأخير ربط مفهوم النص بالبعد الاجتماعي اللساني التفاعلي الذي يؤدي بدوره وظيفة تواصلية أساسها التعبير عن المعاني بين متحملتي اللغة.

النص في معناه الواسع عند هلمسلف لا يقتصر على ما هو مكتوب أو منطوق، بل يتجاوز ذلك بما هو أشمل، بحيث يعتبر كل ما يحقق لنا التواصل والتفاعل فيما بيننا فهو نص بحد ذاته كالصور أو الإشارات أو غيرها...

ويشير بذلك «إلى كل ملفوظ أو منطوق أو مكتوب، طويلا أو مختصرا، جديدا أو قديما، فكلمة قف تعد نص مثلها مثل أي نص، سواء كانت كلمة أو فقرة أو كتاب أو رواية»[2]

إنّ معيار الطول والقصر ليس أساسيان في تعريف النص عند رقية حسن وهاليداي، فإنّ الاكتمال عنصر أساسي لديهما لكي يكون للنص وحدة معنوية مكتملة، هذا ما تحدثا عنه في كتابهما الانسجام في الإنجليزية chesionin english بقولهما: «إنّ كلمة نص Text تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها أن تكون وحدة متكاملة»[3]

ويظهر جليا هذا التركيز أنّ النص يتضمن المكتوب والمنطوق شريطة أن يكون بنية لغوية متكاملة، فالنص في تصور هاليداي ورقية حسن ذو طابع استعمالي تداولي لا يمكن تحديد أجزائه تحديدا نحويا، فهو ليس كالجملة فقضية الطول ولا قصر لا تعني لهم شيئا كل ما يهمهم أنّ الذي يتحكم في بناء النص طريقة صياغته ونسجه، وعلاقته بالأبعاد

[1] يسرى نوفل، المرجع السابق، ص 18.

[2] بشير ابرير: رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية اللغوية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009م، ص 106.

[3] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، 19.

الاجتماعية واللسانية وما مدى تحقيقه لغرض التواصل داخل الحياة الاجتماعية سواء كان ذلك باللغة المنطوقة أو المكتوبة.

ولهذا رولان بارت الذي اعتبر أنّ النص مجرد خطاب ثبت بفعل التشابه، بهذا الطرح نجده ألغى أهم خاصية من خصائص النص المشافهة، المحادثة والمناقشة، فإنّه يقصي دور المرسل والمتلقي وعملية التفاعل بينهما، في قوله: «السطح الظاهري للنتاج الأدبي نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث نفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطعت إلى ذلك سبيلا».[1]

وذهب برينكر H Brinker في تعريفه إلى حد يمكن أن يعطي صورة واضحة لمفهوم النص، فهو يرى بأنّه مدونة كلامية بمعنى أنّها تتألف من الكلام الفعلي أو الإنجازي، فهو يعبر عن أحداث كلامية تختلف من موقف لآخر في زمن ومكان محدد يدور بين مرسل ومرسل إليه، داخل حيز تفاعلي يجمع بين شخصين أو أكثر في حدث تواصلي ذو وظائف متعددة، إذ يقول: «مجموعة من الأحداث الكلامية، التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي ليتحقق فيه التفاعل».[2]

وها هي جوليا كريستيفا julia Kristeva ترد معنى النص بمعنى التناص، فهي تجمع بينهما على أساس أنّ النص هو تداخل النصوص؛ أي أنّه مجموع الاقتباسات التي تشكل نص جديد من نصوص سابقة، يكون فيها صاحب النص غائب فيخلق تفاعل نصي بينه وبين نصوص سابقة ماضية، غرضها إثراء النص واحتواءه لجذب القراء في عملية تعرض أسئلة تستحق الإجابة ما إذا كان هو صاحب النص أم أنّه يتضمنه فقط، لقولها: «نعرّف النص بأنّه جهاز نقل لساني، يعيد توزيع نظام اللغة، واضعا الحديث التواصلي؛

[1] عيسى بن السيد جواد الوداعي: التماسك النصي في نهج البلاغة، المركز العلمي للرسائل والأطاريح، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2010م، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»[1] كما يعتبر التناص عند كريستيفا أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى.

ما يمكن الخروج به في نهاية المطاف أنّ تعريف دي بوجراند De Beaugrande فيه أهم المعايير التي تمد النص بنصيته من أهمها: السبك والحبك والقصد والإخبارية والمقامية والتناص.

إنّ كل تعريف من هذه التعاريف يعكس وجهة نظر خاصة بمعرفة أو بمرجعيات فكرية وتراكمات اجتماعية ونصية، التي تميزه عن مفاهيم أخرى.

هكذا تشكلت مختلف الآراء وتشعبت إلى أبعد الحدود حتى صار البحث عن مفهوم النص بالأمر العسير، فسيظل كذلك مدام النص منفتح على تعدد التعريف وتباينها.

[1] عيسى بن السبد جواد الوداعي، المرجع السابق، ص 28.

الفصل الأول

ماهية لسانيات النص

الفصل الأول: ماهية لسانيات النص.

المبحث الأول: مفهوم لسانيات النص وأهم مقارباتها.

هي فرع من فروع اللسانيات تعنى بدراسة بناء النصوص وتماسكها، والآليات التي تؤدي إلى تلاحمها وانسجامها، مع التركيز على وظيفة النص التبليغية التواصلية سواء كانت تلك النصوص شفوية أم كتابية.

فهي علم معرفي جديد ولد من رحم لسانيات الجملة باعتبارها أكبر وحدة لغوية استنادا على قول بلومفيلد: «هي أكبر مركب مستقل وهي صيغة لغوية ليست جزءا من صيغة أكبر منها»[1]؛ أي أنّه ينفي وجود مركب أكبر من الجملة، وينطلق منها كأساس معرفي في التحليل والوصف اللغوي.

لكن ما يعاب على أصحاب هذا الاتجاه أنّ جلّ أبحاثهم انحصرت في الجانب المعياري للغة، ما جعلها جافة ثابتة تخضع لسلطة القواعد النحوية التركيبية المطلقة التي لا يمكن تطويرها والتجديد فيها، هكذا كانت الحاجة إلى ظهور علم جديد مستقل بذاته يرتكز على مجموعة من المبادئ التي تلغي المعتقدات السابقة. للخروج بدراسة شاملة كان لها الشأن في بلورة النظرية النصية التي تجاوزت الجملة واهتمت بالنص كوحدة دلالية كبرى.

«فلسانيات النصية هي التي تدرس النص على أساس أنّه مجموعة أو فضاء ممتد وواسع من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة».[2]

بمعنى أنّها تقوم بدراسة النص كبنية واحدة ذات شكل واحد تتضمن جملة أو عدة جمل قصيرة أم طويلة تحمل دلالة معينة ووظيفة محددة داخل سياق موقفي معين.

كما أنّها تحاول في دراستها أن تكشف عن العلاقات القائمة بين الجمل ،وكيفية بناء النص واستقصاء التغيرات الناجمة عن تحول الجملة إلى نص أو فقرة أو رواية...، هذا ما

[1] محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001م، ص 37.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 18.

أتى على ذكره فاينريش H/weinriche في مشروعه لسانيات النص طرح فيه منهج جديد باستطاعته استيعاب النص من جميع النواحي، إذ عمل على تجزئته بدءا من الجملة وصولا إلى النص. حرصا منه على ضرورة الجملة في قيام النص لأنّها عنصر مهم لا يمكن التخلي عنه في أي حال من الأحوال. «فلا يتم النظر إلى الجملة باعتبارها جزءا مستقلا مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة للنص ككل، وإنّما هي جزء مكمل لبقية الأجزاء التي تشترك في فهمه...مكونةً بنية واحدة للنص».[1] متوسلا بذلك للوصول إلى تعيين النص من الناحية التركيبية والدلالية ومدى تماسكه وانسجامه وتحقيق وحدته الكلية.

أما فيما يخص مشروع بيوتفى الخاص بالتحليل النحوي الدلالي للنص ركز فيه على المعنى الكلي للنص، في وحدة لغوية مترابطة ومتماسكة ذات نظام تواصلي تداولي كما «قدّم أشكال عديدة لوصف النص وتحليله...الانطلاقا من كون النص وحدة كلية نحويا ودلاليا».[2] يعني بهذا أنّ لسانيات تهتم بوصف النصوص في مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية قصد الإبلاغ والإفادة والإقناع...

ما يلاحظ على هذه المشاريع أنّ هدفها الرئيسي ليس إلغاء الجملة ونفيها و إنما تقديم بعض الصور التحليلية للنص التي تعالج النص في شكله المنطوق أو المكتوب كبنية صغيرة أو كبرى مع الاهتمام بالجانب التواصلي للنص، وفي هذا يقول فان ديك " Van Dÿk": «إنّ كل خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلي».[3]

أمل المشروع اللساني الجذير بالذكر هو مشروع دوبوغراند ودريسلار Da/Dbeaugrand w/Dresslar الذي يعتبر البداية الحقيقية الناضجة التي أسهمت في الوقوف على الفروق الجوهرية الفاصلة بين نحو الجملة ونحو النص، «فقد رأى دوبوغراند أنّ

[1] بشير ابرير، المرجع السابق، ص 168.

[2] المرجع نفسه، ص 175.

[3] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 17.

الفرق بين النص وما هو غير نص يكمن في البعد التواصلي وحده»[1] بمعنى ما يتجاوز ذلك لا يعد نصا، ومن الملاحظات التي صرح بها كل من دبوغراند ودريسلار أنّ اللسانيات الحديثة اهتمت بالجملة وما دونها؛ أي أنّ الدراسات اللغوية المعاصرة لم تقصيها بل تناولت كل المكونات النصية، وعالجت النصوص المعبرة عن اللغة التي تؤدي وظيفة قصدية غرضها التعبير عن ظاهرة ثقافية أو اجتماعية.

وعلى إثر هذا أجاد عبد الفتاح كليطو في طرحه لقضية مهمة جدا ألا وهي التمييز بين النص ولا نص، التي يرجو من خلالها إعطاء وجهة نظر جديدة تحاول لسانيات النص الغوص فيها وتبريرها بمجموعة من الأسس التي أعلن عنها عند إشارته «إلى أنّنا عندما نتكلم على النص فإنّنا نفترض وجود اللانص».[2] يعني؛ أنّ النص مدلول ثقافي يمتاز بخاصية إضافية ينفرد بها عن اللانص، لذا وجب الاحتفاظ به والحرص على عدم ضياعه وتعليمه في المقررات المدرسية والجامعية «اللانص لا يفسر ولا يؤول ولا يعلم ولا يحظى بأي اهتمام، بل لعلى انعدام التفسير فيه يشكل مقياسا كافيا لتعريف النص».[3]

وعليه فإنّ جهود لسانيات النص المتضافرة كان لها صدد كبير في محاولة ترسيخ مبادئها التي تناولت فيها جملة من القضايا المهمة، التي تخدم النظرية النصية مثل ظاهرة الاتساق والانسجام والتماسك النصي...إلخ

ويقول في هذا الصدد كوليش رايبال Culish Raibl في تعريفه للسانيات النص «يقصد بنحو النص مجموع الأعمال اللسانية التي تملك تقاسيم مشتركة خاصية تجعلها تجسد موضوع دراستها في المتواليات الخطابية ذات الأبعاد التي تتجاوز حدود الجملة».[4]

---

[1] بشير ابرير، المرجع السابق، ص 180.

[2] عبد الفتاح كليطو: الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار كريتال للنشر، المغرب، 2006م، ط3، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

[4] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 19.

ما يسعنا قوله أنّ النص أصبح موضوع اللسانيات بامتياز بعدما تناولته بدراسة والتمحيص، حتى أنّها اعتبرته بنية مجردة تحتوي على مكونات نصية، كما أنّها اهتمت بجميع الكيفيات التي يظهر فيها بصورة متسقة ومنسجمة ذات وحدة كلية متناغمة، وأيضا معرفة كل الطرق التي بني عليها من أجل تأسيس نظرية تشترك فيها مختلف المقاربات التي عنيت بتحليل النص، المقاربة السيميائية والشعرية والتداولية والسيوسولوجية سعيا منها للكشف عن المعايير التي يستقيم بها النص وبيان وظائفه وعلاقاته التي تتحكم في تلاحمه وترابطه في تحقيق التواصل اللساني.

ومن هنا يمكن الحديث عن مجموعة من المقاربات المختلفة التي اشتغلت على النص والخطاب، ويمكن حصرها فيما يلي:

1- المقاربة المعجمية:

تهتم هذه المقارنة بمعاني الكلمات في حقلها الدلالي والمعجمي مع تتبع دلالة الكلمات داخل النصوص، بمعنى أنّها تعطي اهتماما كبيرا للألفاظ والشروح أو التفسيرات المعجمية للدلالة على المعنى بهدف الإفهام للكلام المكتوب أو المسموع، معتمدة بذلك على إحصاء الكلمات المكررة ونسبة ورودها في النص «وقد اهتمت أيضا التحليل بالمقومات أو السيمات Analyse componentielle، ودراسة العلاقات البنيوية بين الكلمات النصية، والتمييز بين الكلمات الحرفية والكلمات الإيحائية»[1]، ونقصد بذلك أنّها تقوم بجمع الكلمات المتكررة وتحاول أن تقف على خصائصها والاشتغال على وظيفتها، والغرض من ذكرها في الربط بين الكلمات النصية والتمييز بينها وبين الكلمات ذات المعنى المتعدد والمحتمل في طبيعته الرمزية.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 22.

2- المقاربة اللسانية التركيبية:

تقوم هذه المقاربة على مجموعة من المبادئ التي أسس لها الأمريكي هاريس Haris منهج لساني توزيعي خاص يدعو فيه إلى تجاوز الجملة والإقبال على النص أو الخطاب بالدراسة والتحليل، فالنص هو موضوع الدراسة لا الجملة. لأنّ النص هو أكبر وحدة لسانية في اللغة، «وقد اعتبر النص جملة كبرى تخضع للمقاييس اللسانية النحوية نفسها التي تخضع لها الجملة الصغرى»[1]، غير أنّ هذه المقاربة لم تعالج إلاّ بعض الظواهر النصية وفق البنيوية التوزيعية لأنّها لم تكن مقاربة نصية كلية.

وعليه «فهاريس هو من ابتدع عبارة تحليل الخطاب منذ 1952 في مقال له بمجلة اللغة يحمل عنوان تحليل الخطاب...قد قدّم في هذه الصياغة تحليلا لتتبع الملفوظ المكتوب أو الشفوي»[2]، بهذا يقترح تطبيق منهجية جديدة على النص ليبين فيها المكونات النصية وكيفية اشتغالها والتدقيق في محتوياتها والكشف عن القوانين التي تنظمها مع تحديد الوظائف النحوية التي تقوم بها تلك المكونات النصية، «أي ماهي الصيغ الإطرادية للصرفيات الأساسية التي تكونه».[3]

إنّ برنامج هاريس حول تحليل الخطاب عني بمشروعين: تمثل الأول في دراسة العلاقات بين الثقافة واللغة وهذه الدراسة لم يعيرها اهتماما لأنّها في رأيه غير لسانية، أما الثاني فتمثل في نظرية للغة باعتبارها بنية لغوية خالصة وهذه التي تبنها لأنّها في صميم الدراسة اللسانية، ويقول هاريس في هذا الصدد: «يمكن أن نقوم بتحليل الخطاب انطلاقا من نوعين من القضايا التي هي مرتبطة ببعضها، أولهما توسيع مجال اللسانيات الوصفية

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

Linguistique descriptive إلى خارج حدود الجملة الواحدة، والثانية تمس الثقافة واللغة أي بين السلوك اللغوي وغير اللغوي».[1]

إنّ الغاية من المنهج التحليلي الذي جاء به هاريس هو محاولة تفسير تلك العلاقات التي تجمع بين الجمل، هذا ويؤكد على أنّ الترابط لم يأتي على حين غرة وإنما هناك نحوا يشكل هذا الترابط والتماسك اللفظي والمعنوي، مع الحرص على توسيع مجال اللسانيات إلى وحدة أكبر من الجملة يمكن تحليلها والكشف عن محتواها ومبناها، إذ يقول في هذا الصدد: «دراسة أي قول مهما كان طوله»[2]، فهو لا يقيد النص بل يعطيه الحرية المطلقة الكاملة نحو المزيد من الجمل المتتابعة التي تسمح له بتحليل الخطاب المجال المحبذ للمناهج اللسانية الوصفية.

ونستشف مما سبق أنّ هاريس من السباقين الذين تبنوه إلى ظاهرة مهمة في تحليل الخطاب أو النص و«الاهتمام بالوحدات عبر الجملة؛ أي الوحدات أكبر من الجملة»[3]، ثم بعد ذلك أصبحت هذه الظاهرة متناولة لدى العديد كفان ديك وأيضا هليداي ورقية حسن وفنريش وكذلك ميشال آدم وغيرهم ممن تبنوا هذه الفكرة وحاولوا تطويرها والنهوض بها نحو أفق جديدة، ويبقى هاريس أول من تناول لسانيات الخطاب من منظور توزيعي لساني تركيبي.

3- المقاربة الفلسفية:

هي منهجية فلسفية لبناء مفاهيم علمية تقوم على مجموعة من العمليات لمعالجة النص ودراسة التفاعل والترابط بين مختلف عناصره، وعليه فقد كان هناك بعض المحاولات الجادة كدراسة النص أو الخطاب من منظور فلسفي محظ يتجاهل فيه الجملة ويعطي الاهتمام الكامل للنص فإنّ «هذه المحاولات وسّعت فضاء اشتغال الجملة بالانتقال من حدود

[1] بشير ابرير، المرجع السابق، ص 93- 94.

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 24.

الملفوظ أو الجملة الواحدة إلى النص أو الخطاب، باستعمال القواعد نفسها التي طبقت على الجملة»[1]؛ ما يعني أنّ هذه المحاولات كان لها الفضل في توسيع نطاق البحث عن الجملة وصولا بالنص مع إنجاز القواعد نفسها التي أجريت على الجملة، هذا ما تحدث عنه بول ريكو في كتابه من النص إلى الفعل محاولة هريميونطيقية ، انطلق من فرضية مفادها أنّ الوحدات النصية الكبرى تخضع للتنظيم نفسه الذي تخضع له الجملة.

4- المقاربة التلفظية:

تعتني هذه المقاربة بعملية التلفظ والتي يقوم عليها النص، فهي تعمل على الوسائل المؤدية لهذه العملية؛ أي أنّ النص هو عملية تلفظ نشيطة متعلقة بذات المتكلم، أو هي التحدث المتعلق بالجانب المنطوق للغة.

وهذه النظرية بلورها مجموعة من اللسانيين على رأسهم أميل بنفيست الذي كان له الفضل في رسم خطاها سعيا إلى تحقيق بعض الأهداف التي حاول فيها أن يركز على الملفوظ والتلفظ، ويقصد بالملفوظ هو مجموعة الحقائق الكلامية التي تصدر عن المتكلم، أما التلفظ هو فعل القول أي المعنى المقصود بهذا الملفوظ، الحدث الكلامي المرجو تحقيقه.

فإنّ اميل بنفيست ينطلق من مسلمة يؤكد فيها على أنّ «اللغة نظاما مجردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان وهي لا تتحول إلى كلام حقيقي ولا إلى نص أو خطاب إلاّ من عملية التلفظ أو التحدث نفسها»[2]؛ ما يعني أنّ اللغة طاقة لا يمكن تجسيدها على أرض الواقع إلاّ بواسطة عملية التلفظ.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 15.

[2] بشير ابرير، المرجع السابق، ص 193.

«كما تتعامل هذه المقاربة مع النص على أساس أنّه ملفوظ سياقي»[1]؛ بمعنى أنّها لا تعير أي اهتمام للغة وهي لوحدها منعزلة عن الواقع الاجتماعي أو عن الحيز الذي وقعت فيه، وبمعنى آخر فإنّها تسلط الضوء على الكلام الملفوظ وتلك الظروف المحيطة به مع ربطه بالسياق الاجتماعي، فيقول باختين Bakhtine في حديثنا هذا: «يستلزم أخذ التلفظ بعين الاعتبار فبالنسبة إليه لا وجود لدليل لغوي إلاّ في أدائي الاجتماعي».[2]

كما ارتبطت نظرية التلفظ بالتواصل مع ياكبسون المتعلقة بعنصرين أساسيين هما المتكلم والمستمع، بهدف التأثير والتأثر من كلا الطرفين داخل محيط اجتماعي.

ومنه فإنّ هذه المقاربة تدرس عملية التحليل اللغوي والظروف المحيطة به وبإنتاجه وكيفية أدائه وتلقيه من قبل المستمع.

فحين نخوض في هذه النظرية نلتفت فيها إلى أمر مهم يدلنا على بعض العلاقات المتشابكة المفضية إلى التداولية، فهي مرتبطة بها بطريقة غير مباشرة إذ تجد نفسك بين أحضانها وتقف عند مختلف قضاياها المتعلقة بالاستعمال اللغوي أو بالأحرى الفعل الإنجازي للكلام، هذا ما تطرقت إليه فيما بعد التداولية، ووضعت له أسس منطقية تقوم على إثرها مجموعة من النظريات اللغوية الأخرى.

5- المقاربة التداولية:

ترى هذه المقاربة أنّ النص ليس فقط التعبير عن الواقع الاجتماعي عبر سلسلة من الأقوال والأفعال الإنجازية وإنما تركز بدورها على المتغيرات الناتجة عن هذا القول، فهي تدرس الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي ما يدفعه إلى التعبير أو تحويل موقفه حسب مقتضياته وأهدافه الخاصة، ما يعني أنّها مشروع شاسع في اللسانيات النصية تهتم بالخطاب وبالعناصر النصية فيه من أقوال ومحادثات، لأجل دراسة التواصل بشكل عام مرورا بظروف

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

الإنتاج ومقصدية الملفوظ الذي يصاغ فيه الأحداث الكلامية تحت أغراض محددة، وهي بهذا الطرح تعوض مفهوم أوسع للتواصل والتفاعل وشروط الأداء.

ومن هنا تبنى نظرية أفعال الكلام حسب رائدها أوستين وتلميذه سورل «فالتداولية عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والأثر الذي يتركه ذلك الإنجاز»[1]؛ أي أنّها تعنى باستعمال اللغوي في بعده الدلالي والتداولي، فهذه الأفعال تقوم على ثلاثة عناصر أساسية، أولا: فعل القول؛ ومعناه أن تكون الملفوظات سليمة تركيبيا ونحويا ودلاليا، وثانيا: الفعل المتضمن في القول؛ ويراد به مقصدية هذا الفعل الكلامي الإنجازي، أما ثالثهما الفعل الناتج عن القول؛ ونقصد به تلك البصمة الناتجة عن هذا القول كالإقناع والإرشاد والنصح أو الأمر أو الوعد أو غيرها[2]، مع اشراطه في قياس الجملة على الصدق أو الكذب وهته الفكرة بلورها تلميذه سورل وطورها في ما بعد وجعلها أساسا في نظرية لأفعال الكلام.

وما نستشفه مما سبق أنّ المقاربة التداولية هي محاولة استنباط الأفعال الكلامية من النصوص الأدبية ويتم تصنيفها وتحليلها حسب الغرض أو المقصدية التي وضعت من أجلها.

6- البلاغة الجديدة أو المقاربة الحجاجية:

تناولت هذه المقاربة التطورات التي مست التصور القديم للبلاغة من خلال الإضافات التي قدّمها شايم بيرلمان، حيث اهتم بقضية الحجاج في الحقول المعرفة الاجتماعية، فقد قدّم جهود معتبرة أعاد فيها النظر إلى البلاغة القديمة، حاول أن يقرأها قراءة جديدة تبث فيها الروح من جديد بعد الاطلاع على ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، فبيرلمان يسعى إلى تحليل الخطابات والنصوص عن طريق الوقوف على مختلف الآليات الحجاجية التي تقوم عليها، وقد ارتبطت البلاغة الجديدة ارتباطا وثيقا بالحجاج ، فالحجاج هو استعمال آليات

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 29.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 29.

وتقنيات بلاغية ومنطقية يعتمد فيها المخاطب استراتيجية من أجل الإقناع والإفهام؛ أي فهم قصد المتكلم ليس كشخص يبث أصواتا وإنما كمخاطب حقيقي يعتمد أسلوبا حجاجيا متميزا يرمي به إلى أهداف معينة، كما أنّه يولي غاية خاصة لمبدأ القصد والمقام إذ يمكننا من اكتساب خبرة في تحليل النصوص ذات طابع حجاجي كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية...إلخ.

ومن ثم فإنّ الحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية، تستلزم وجود أطراف تواصلية ذات أهداف مشتركة، يشترط فيها أن تكون للخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية يبتعد بها عن كل الانفعالات والأهواء والرغبات الشخصية متجها نحو هدفه ومراده في بناء الحقيقة بواسطة المحاورة، ما يعني أنّ الحجاج عند بيرلمان ليس بالقوة والعنف والإجبار وإنما بتبادل الأفكار والتصورات بكل شفافية كما هي في الواقع، وعرضها بطريقة تستهوي الجمهور أو المخاطبين تأسرهم وتأثر فيهم مع تقديم الحجج والبراهين التي تدعم صحة قوله وخطابه ومدى مصداقيته، من هنا يتمكن المخاطب من تغير قناعاتهم الشخصية والفكرية واستبدالها حسب معتقداته ووجهة نظره في أي ظاهرة اجتماعية سعيا منه إلى تجاوزها والقضاء عليها.[1]

[1] ينظر: جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 31- 32- 33.

المبحث الثاني: منهجية لسانيات النص.

ظهرت المنهجية اللسانية على أثر الدراسات اللسانية الجملية بمختلف توجيهاتها، ففي حديثنا هذا لا نحاول أن نقصيها من بين تلك القضايا اللسانية النصية وإنما نتماشى معها على الطبيعة التي اقتضاها الأمر، فالمستجدات التي شهدتها مختلف العلوم فرضت علينا محاكاتها ومواكبة هذا التطور، بحيث نقف على النقائص ونملأ الفراغات التي لم تستطع الجملة معالجتها، لذا لابد من الاستقلالية والخروج بعلم جديد كافي وافي بكل الوسائل اللغوية التي تصف جميع مستوياتها الدلالية والنحوية والتركيبية والتداولية، باللجوء إلى النص كهدف لتحليل مظاهر وأشكال التواصل النصي، كبنية دلالية كلية لاتتحمل التجزئة.

«وتستلزم لسانيات النص منهجية بنيوية وصفية وتفسيرية وتأويلية تقوم على التفكيك والترتيب»[1]، بمعنى أنّه عند تحليل أي نص لابد من شرحه وتفسيره وتجزئته إلى فقرات ومقاطع ومتواليات وصولا بنص ككل؛ أي التعامل مع النص من جميع محتوياته الشكلية والدلالية حتى يتسنى لنا أن نحدد مختلف الوظائف التواصلية والإبلاغية التي نسعى إليها من خلال النص.

استنادا للمعايير النصية التي أشار إليها معظم علماء النص وعلى رأسهم ديبو غراند وهليداي ورقية حسن في حديثهم عن تماسك النص بالبحث عن أدوات الاتساق اللغوية والبحث عن عمليات الانسجام وعلاقتها بالمتلقي، وكذا إدراك بنية النص اللغوية في سياقها التواصلي ومقاصدها المختلفة.

«وبعد ذلك ينتقل الباحث إلى دراسة النصوص والخطابات وفق رؤية تجنيسية وتنميطية بغية معرفة مميزات كل نص أو خطاب على حدة، وتبيان مكوناته الثابتة واستخلاص سماته المتغيرة»[2]، بعد الانتهاء من العملية التفسيرية والتأويلية علينا أن ننتقل إلى مرحلة أخرى تعمل على تصنيف النصوص؛ أي في أي جانب أدبي ينتمي إليه هذا

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 60.

[2] المرجع نفسه، ص 61.

النص ومحاولة رصد المنهجية المطبقة على سيرورة النص، فلكل جنس أدبي قواعد وتقنيات يقوم عليها حتى يؤدي النص وظيفته على أحسن صورة، قد اعتمدت اللسانيات النصية منهجا جديدا من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة تصف الظواهر اللغوية بطريقة سلسة وسريعة ما نسميه باللسانيات الحاسوبية.

«ويمكن للسانيات النص أن تقارن النص بالذكاء الحاسوبي لمعرفة طرائق بناء النص، وتحديد مواطن التشابه بين النص الانساني والنص الرقمي، واستعارة المفاهيم الحاسوبية لتوظيفها في تحليل النصوص والخطابات فهما وتفسيرا وتأويلا».[1]

فإنّ هذا التمايز من شأنه أن تبرهن على الامتيازات التي يملكها أحدهما عن الآخر حتى يُعتمد منهجا مناسب يخدم الباحث في تحليل النصوص وتفسيرها، و الاستعانة بالذكاء الحاسوبي بغية تسهيل عملية التحليل والتخفيف من عنائه، ذلك لأنّ الحاسوب ذو إمكانية كبيرة في تخزين المعلومات على اعتبار أنّ الإنسان ذو ذاكرة محدودة من الصعب الاحتفاظ بها، فطبيعة الإنسان تميل إلى الاهتمامات والضروريات فقط لا يمكننا أن تخزن كل شيء، «كما يمكن للسانيات أن تستفيد بمجموعة من المناهج السابقة في تناول قواعدها وآلياتها ومن هذه المناهج نذكر المنهج التوليدي التحويلي والتداولي والبنيوي، الحجاجي، السيميوطيقيا السردية».[2]

وعليه فمنهجية لسانيات النص هي منهجية لسانية ونحوية، لكن يمكننا الاستعانة بأدوات ومفاهيم سبق الإشارة إليها في علوم أخرى تشترك مع اللسانيات النصية في العديد من القضايا، إذا وجب الاعتماد عليها للخروج بنتائج مرضية شافية وافية.

ويمكن اقتراح منهجية تحليل تندرج ضمن لسانيات النص لمعالجة النصوص والخطابات كيف ما كان نوعها في النقاط التالية:

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 61.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 61.

1- عملية التصنيف:

تعد مسألة تصنيف النصوص إشكالية قائمة بذاتها مفادها على أي أساس يتم التصنيف؟ وما هي المنهجية المتبعة فيه؟

يلجأ علماء النص إلى عملية التصنيف قصد الكشف عن القوانين والمعايير التي يستقيم بها النص ولا يتم ذلك إلاّ بمعرفة الطريقة التي بني عليها عن طريق تجنيس النصوص: رواية، أو شعر أو مسرح أو قصة قصيرة، حتى نتمكن من إدراك مراحله كاملة.

كما يستلزم مراعاة تنميط النصوص من أجل إحصاء خصائص كل نمط سواء سردي أو إخباري أو وصفي أو حجاجي...

بمعنى أنّ للنص طريق مرسوم سابقا يحدد مجرى قيامه ما يساهم في إنتاج النص بتقنيات محكمة ومضبوطة.

«تم تصنيف النص ضمن خانة النصوص النصية المجردة أو خانة الخطابات الخطابية السياقية والتواصلية»[1]، إنّ الفائدة التي نرجوها من هذا التصنيف هو تدريب المتلقي أو القارئ بمعرفة سمات كل نوع من أنواع النصوص، فيكتسب كفاية أو مهارة نصية تيسر له تيسر له التعامل مع أي نص آخر، يصبح قادر على توقع أشياء وأحداث في النص قبل الوصول إليها، فمثلا عند اعتماد الكاتب في نصه النمط السردي فيلتزم استعمال خصائصه التي يقوم عليها، فيأتي المتلقي أثناء القراءة والتمعن فيها سيتمكن من معرفة نوع النص بمجرد التعرف على التقنيات السردية المعتمدة في النص.

ما يمكن قوله كاستنتاج هو أنّ معرفتنا بأنواع النصوص والوقوف على خصائصها وأسلوب المنتظم والمرتب من شأنه أن يسمح لنا باتباع منهجية معينة للقراءة والكتابة حسب طبيعة كل نوع، لذا وجب الالتزام بهذه القواعد والقوانين قصد تأويل وتفسير النصوص على اختلافها.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 62.

2- عملية التقطيع:

هي عملية مهمة تساهم في فهم النص وتأويله والإحاطة بدلالته السطحية أو العميقة، فيتم عن طريق تقسيم النص إلى مقاطع صغرى أو كبرى «ملفوظات أو جمل، ثم تجميعها في مقاطع أو متواليات أو فقرات مرتبة ومتتابعة ومتسلسلة ومعنوية»[1]؛ أي تقطيع النص إلى نصوص صغرى حتى تكون عملية التحليل عملية سهلة ودقيقة.

3- عملية تنميط المقاطع:

بعد عملية التقطيع تأتي مرحلة أخرى يتم فيها تصنيف النصوص حسب أنماطها وأنواعها وهذا التصنيف قادر على تحديد الكيفية التي بني عليها النص.

ولاستخلاص نمط النص لابد من اعتماد مبدأ القيمة المهيمنة لدى رومان ياكبسون الذي ينص فيه على أنّ النمط الغالب في النص هو الذي نسعى إلى تحديده غالبا، أما عن الأنماط الثانوية في المقاطع الصغرى لا نوليها اهتماما بالغا، كل ما يهمنا هو «المقاطع التابعة والخاضعة للمقطع الرئيسي».[2]

ويمكن كذلك أن نحدد بداية المقطع ونهايته؛ بمعنى رسم حدود هذا النص.

4- عملية الربط أو عمليات الاتساق:

وهي محاولة الكشف عن التماسك الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنص من خلال وسائل لغوية تربط بين عناصره، فتحقق الاتساق التركيبي والدلالي بين مكوناته النصية «ابتداء من الجملة الثانية إلى آخر جملة في النص».[3]

وتتمثل هذه الروابط في الاتساق التركيبي ونعني به أدوات الربط وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والاتساق الدلالي يتحقق بالإحالة، أما عن الاتساق المعجمي كالتكرار والتضام.

---

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 62.

[3] المرجع نفسه، ص 62.

وعليه فإنّ عملية التضيد هي المسؤولة عن الربط بين الأفكار بواسطة مجموعة من العمليات التي تمكّن القارئ من إدراك العلاقات التي تحكم بنية النص.

5- عمليات الانسجام:

وسيلة من الوسائل التي تحقق الترابط بين أجزاء النص، فهي متعلقة بالقارئ ومدى كفاءته في فك العقد النصية استنادا لمعرفته الخلفية للوصول إلى فهم المغزى والحكمة من النص، وهذا لا يتم إلاّ عن طريق مجموعة من العمليات والاستراتيجيات، ولعلى من بينها «المشابهة والمماثلة والتأويل والعنونة والتغريض، والبنية الدلالية، والمدونات والمخططات والسيناريوهات والأطر والاستدلال وغيرها»[1]، فكلها آليات لبناء النص وخلق الاستمرارية الدلالية بين أجزائه ومحتوياته.

6- العمليات الحجاجية:

هي من الأدوار التي تشتمل على التقنيات الحجاجية المصممة للإقناع والبرهنة، فالحجاج عملية تواصلية يقدم فيها المتكلم والمخاطب الحجج من أجل الإقناع والتأثير في الآخرين، لذا يعتمد فيها أساليب خاصة تخدم الغرض المقصود نسعى من خلالها الكشف عن التقنيات التي تجعل من النص نصا حجاجيا.

وذلك «بتصنيف المقاييس والمقولات الحجاجية، ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجداليا وخطابيا».[2]

يتطلب هذا النوع الخطابي أو التواصلي المفاوضة والمجادلة بين المخاطبين على موضوع معين، فيطرح كل منهما رأيه الخاص، ما يخلق بينها صراع أو منازعة يحاول فيها كل طرف اسقاط رأي الآخر إلى غاية الخروج بنتيجة مرضية ومقنعة.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 63.

[2] المرجع نفسه، ص 63.

وعلى هذا الأساس «يمكن الاعتماد على مفاهيم أرسطو مثل القياس والمماثلة والاستدلال المنطقي»[1]، وعليه فإنّ الحجاج في النص عبارة عن ملفوظات تصور أحداثا متسلسلة واضحة، تحمل مظاهر حجاجية تتجسد في صدر هذا النص.

كما تختلف الأدلة الحجاجية باختلاف أنواع النصوص في سياق تواصلي معين، لذا على القارئ أن يركز على بعض المؤشرات التي تحيل إلى نوع الاستراتيجيات المستعملة في بنائه، وعرض دلالتها ووظائفها والاستعانة بالخصائص الخطابية التي تمكنه من تحديد الرسالة الموجهة بأسلوب حجاجي موضوعي تتم فيه العملية التواصلية بواقعية ومنطقية.

ومن هنا يمكننا القول بأنّ منهجية الحجاج تبنى أسس وضوابط يحددها السياق التواصلي والاجتماعي، فيتم الكشف عنها بجملة من الأدوات الحجاجية «كالصور البلاغية وأساليب الحوار، السرد، والمنولوج، والأسلوب المباشر، والأسلوب الغير مباشر، والأسلوب الغير المباشر الحر»[2]، مع استخلاص مختلف الروابط الحجاجية، فهي تقنيات تطبق على النص المكتوب أو المنطوق بغرض تحقيق عملية حجاجية مثمرة.

7- عمليات التداول الإنجازي:

لنص بعد تداولي يتناول فيه قواعد تتعلق بنظرية أفعال الكلام؛ أي دراسة الجانب الاستعمالي للغة على اعتبار أنّ اللغة نشاط تواصلي يؤدي وظيفة إنجازية؛ أي أنّها تؤدي غرضا معينا، وذلك بمحاولة التأثير في الآخرين عن طريق الأفعال الإنجازية منها الإقناع والإرشاد والتوجيه والأمر والوعد والتصريحات...

أما عن هدف العملية التداولية الدعوة إلى تحديد الأفعال لإنجازها وبيان وظائفها التي تحملها المكونات النصية من معلومات وأخبار أثناء تفاعلها في العمليات الخطابية التواصلية بكل أبعادها ومقاصدها.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 63.

[2] المرجع نفسه، ص 64.

8- عملية التشاكل:

يعنى التشاكل بالانسجام بطريقة مباشرة ترمي إلى العلاقة القائمة بين الوحدات النصية، فإما أن تكون متشابهة أو متماثلة بتكرار اللفظة أو الجملة أو حتى انتمائها إلى مجال معين؛ أي أنّها تتماثل معها في نفس الحقل اللغوي والدلالي.

«فالتشاكل يتحقق بتراكم المقومات المعجمية والمقومات السياقية»[1]؛ أي أن يحتوي هذا التشاكل على عناصر لغوية متكررة وباستمرار ما يسهل على المتلقي القراءة والتقرب إلى المعنى الحقيقي وفهم مضمون النص.

وما يصح قوله أنّ هذه العملية تركز بكثرة على الجانب الشكلي التركيبي والنحوي؛ أي الصياغة التي يبنى عليها النص في خلق الانسجام والتجانس والتناغم بين الملفوظات، كأن تكون بعض الكلمات مختلفة في المعنى، لكن شكلا تحمل نفس الحروف أو الأصوات كالجناس مثلا.

وهذا النوع يضفي جمالا وجرسا موسيقيا تتغنى به المسامع، حتى أنّها تجعل من المتلقي يعيش في استقرار عند مواجهته له ما يساهم في إثراء الأعمال الأدبية بإبداعات ترفع من مستوى النص من حيث الإقبال والتقبل.

وهذا ما ذهب إليه كريماص في تعريفه للتشاكل «بأنّه استمرارية قاعدة سليمة للمقومات السياقية التي تمكن نتيجة انفتاح المركبات الاستبدالية التي هي المقولات السياقية من تحقيق تغيرات وحدات التمظهر، وهي تغيرات عوض أن تهدم التشاكل لا تعمل إلاّ على تأكيده»[2]، المقصود بهذا التعريف بأنّ كل التمثلات أو التشابه في تناول الألفاظ أو الكلمات أو الجمل أو المعاني أو التعابير، فإنما لا تمنع من تحقيق وظيفته بل تزيد من درجة وضوح وبروز المعنى؛ أي عند حدوث تغيرات ناجمة عن هذا التشاكل لابد من مراعاة جانبين

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 65.

[2] المرجع نفسه، ص 65.

مهمين في هذه العملية ألا وهي ضمان صحة الاسلوب المنسجم المنتظم في وحدة كلية ذات مضمون واحد.

فيقول كريماص في هذا الصدد: «يمكن بواسطة مفهوم التشاكل أن نبرز كيف أنّ كل النصوص تحدد على مستويات دلالية منسجمة، وكيف أنّ المدلول العام لمجموعة دالة عوض أن يلتمس بشكل قبلي، يمكن أن يؤول بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي»[1]، كما أنّ للتشاكل وظيفة نصية مهمة في خلق اتساق النص وانسجامه انطلاقا من سلامة بنائه تركيبيا ودلاليا ووظيفيا.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 66.

المبحث الثالث: طبيعة الدراسة النصية.

بعد أن أصبح علم النص علم مستقل بذاته يحمل مبادئ وأسس خاصة نال بها أعلى درجة من النضج، وذلك بالكشف عن وظيفته وتبيان مواطن التي تُبرز فيها حقيقة النصوص، فكان لابد من رصد هذه الوظائف التي اتفق عليها العلماء على أنّها تنحصر في أمرين أساسيين:

أ/ الوصف النصي.

ب/ التحليل النصي.

مبدئيا نتختص بالوصف أولا؛ أي الانطلاق بوصف المكونات النصية بدأ بالجملة الواحدة، ثم الانتقال تدريجيا إلى الوحدات الكبرى المتمثلة في الموضوعات التي تناولها النص.

وبعد ذلك نأتي على تحليل النصوص؛ أي رصد الروابط الداخلية والخارجية المسؤولة عن وحدة النص الكلية، وربطها بالوظيفة الاساسية التي وضع من أجلها النص ألا وهي التواصل؛ أي محاولة وصف تلك العلاقات والروابط التي تجمع بين المتلقي والنص أثناء عملية التحليل والقراءة المتمحصة ذات أبعاد تفسيرية تأويلية.

أما فيما يخص مسألة التحليل النصي أو طبيعة الدراسة النصية يجدر بنا مسبقا أن ندرك ما نوع هذا النص الذي نحن بصدد تحليله؟

1/ النص المنطوق 2/ النص المكتوب

2/ النص المفتوح 3/ النص المغلق.[1]

من الوهلة الأولى تنتبه إلى الإشكالية المطروحة في اللسانيات النصية هي مسألة الخلاف بين النص المنطوق والمكتوب أيها يعد نصا؟ ولقد كانت هناك شواهد كثيرة متشابكة

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق «دراسة تطبيقية على السور المكية»، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج2، ط1، 2000م، ص 56.

لكل منهم انحيازه الخاص حسب مرجعيته الخاصة، فمنهم من جعل النص يختص باللغة المكتوبة والخطاب باللغة المنطوقة.

أما عن الراي المتداول ذو مرجعية منطقية هو ما تقدم به صبحي الفقي في قوله: «ونحن نؤيد الراي القائل بأنّ التحليل النصي يكون النص للنص المنطوق والنص المكتوب على سواء طالما توفرت في أي منهما المعايير التي سبق ذكرها»[1]، نستشف من هذا القول بأنّنا لا نتحايد في التحليل عن أي نوع من النصوص سواء منطوق أو مكتوب، بل إنّه يمسها معا لطالما قد توفرت فيهم شروط قياس النص؛ أي احتوائه على المعايير التي تحقق النصية.

في حديثنا عن النص المفتوح والمنغلق نأتي على ذكر ما حدّده هاليداي من خلال معيار «الطول والقصر فالنص إذا كان قصيرا يكون حينئذ مغلقا، أما إذا كان طويلا فإنّه يكون مفتوحا»[2]؛ أي أنّ النص القصير هو النص المنغلق على نفسه المكتفي بذاته، أما النص المفتوح الطويل الذي يستدعي عوامل خارجية في التحليل، فيكون منفتحا على نصوص أخرى مثلا كأن تتم عملية التناص، يشرح ويوضح نص بنص آخر يماثله يؤدي معناه بصورة واضحة وأكثر دقة.

غير أنّ مبدأ الطول والقصر ليس بالأمر المتيقن في البحث نظرا لتعرضه للانتقاد والرفض من قبل العلماء، فهم يطرحون قضية أخرى مخالفة لهذا المعيار الذي يعتبرونه معيارا عامل، فهم ينطلقون من إشكالية مفادها كيف أن نفسر أو أن نميز بين النص ولا نص؟

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

هذا الطرح يضعنا أمام واقع آخر أشار إليه علماء اللغة النصية «إلى أنّ النص قد يكون جملة واحدة مثل الإنذارات والأمثال السائرة والشعارات الإعلان عن السلع»[1] أو لافتات ممنوع التدخين أو غيرها...

نعود مجددا إلى الطبيعة التي يقتضيها التحليل النصي فهي غالبا ما تقف عند أربعة نقاط أساسية:

1- من أين نبدأ التحليل.

2- معنى التحليل.

3- مستويات التحليل وأدوات استقرار النص.

4- عناصر التحليل.

وهذا ما سنأتي على ذكره نقطة بنقطة في هذا المبحث.

1- من أين نبدأ التحليل النصي:

غالبا ما نلجأ في تحليل النصوص إلى استخلاص المغزى العام؛ أي أن نستخرج موضوع النص في بنيته الكلية قبل الخوض في مكوناته الداخلية أو في وحداته الصغرى.

«وبناء عليه يعتمد تفكيك النص إلى وحدات المكونة له على الإدراك السليم لبنيته العليا ما يعد شرطا ضروريا لتحليل علاقته وضبط خواصه».[2]

ففي طبيعتنا نأخذ الأمور بكليتها؛ أي أنّنا نتطرق من العام إلى الخاص حتى يتسنى لنا الوقوف على جميع وحداته الداخلية والخارجية.

«إذ بعد التعرف على الأجزاء المكونة لها وظيفيا وبنيويا شرطا ضروريا لإمكانية بحثها واكتشاف هيكلها»[3]، إذن فالتحليل النصي يبدأ من البنية الكلية ثم التطرق إلى الوحدات الصغرى للخروج بدلالة واضحة تحقق وظيفة تواصلية بكل أبعادها.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 58.

[2] المرجع نفسه، ص 59.

[3] المرجع نقسه، ص 60.

كما لا ننسى وظيفة المتلقي في التحليل وكيفية العثور على بعض العناصر المفقودة والمتناثرة والمبعثرة تستخرج من السياق الخارجي للنص؛ أي ربط النص بالعالم الخارجي والسياق الذي وضع فيه حتى نكون على دراية كاملة بمستجدات التي قد تطرأ في النص.

2- طبيعة التحليل النصي:

تتحدّد طبيعة التحليل بتحديد نوع النص سواء كان منطوقا أو مكتوبا على اعتبار أنّ عملية التحليل تشملها معا، فلا فرق بينهما تجري قوانين التحليل عليهما معا على حد سواء.

فتحليل الخطاب يتجسد بتحليل اللغة المستعملة «لذا فإنّه لا يقتصر على الوصف للأشكال اللغوية معتمدا على الأغراض أو الوظائف التي تسير إليها هذه الصيغ لتخدم الشؤون البشرية»[1]؛ أي أنّه لا يختص فقط بوصف التركيب والبناء الداخلي فقط وإنّما يتعدى ذلك بالتركيز على البيئة المحيطة أي فحصها في سياقها العام.

«إذ يركز على العلاقة بين المتحدث والقول في مناسبة معينة وتركيزه هنا أكثر من تركيزه على العلاقة بين جملة ما بجملة أخرى...والمحلل يصف ما يفعله المتحدثون والمستمعون، لا لعلاقة بين جملة ما وحروف الجر».[2]

أي أنّ المحلل عليه أن يلتزم بالغرض الذي تؤديه هذه اللغة المستعملة قبل الحديث عن تلك الروابط التي تحكم وتضبط النص ليضمن وصول الفكرة كما هي بمختلف مقاصدها خوفا من اندثارها أو تلاشيها، ثم بعد ذلك نراعي الطريقة التي نقدم بها النص والأسلوب الذي نعرضه به.

وعليه فإنّ طبيعة التحليل النصي من خلال أنواع النصوص التي تقتصر على المكتوب فهي متعلقة بالكاتب والمتلقي، أما عن المنطوق فهي متعلقة بالمتحدث والسامع، فطبيعة التحليل تُصور بحسب الموقف أو السياق الذي وضعت فيه وبمعنى آخر الاهتمام بالعلاقات الداخلية والخارجية.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 62.

3- مستويات تحليل النص وأدواته واستقراره:

من المعروف أنّه تم تقسيم مستويات التحليل إلى مستوى صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي ودلالي، وبما أنّنا في صدد الدراسة النصية فإنّنا نختص بالنص؛ أي بالمستوى الدلالي والمعجمي والنحوي ذات الصلة بقضايا الإحالة.

كما وضحها صبحي الفقي في الجدول التالي:

الموضوع	المستوى
الضمائر	النحوي الدلالي
الإشارة	النحوي الدلالي
الموصول	النحوي
الحذف	النحوي الدلالي
التوابع	النحوي الدلالي
التكرار	المعجمي النحوي
المناسبة	الدلالي

من خلال هذا الجدول نلاحظ أنّ هذه المستويات تحكم على مدى تماسك النص وترابطه لاحتوائها على الآليات المعجمية والنحوية والدلالية التي يبنى عليها التماسك النصي والنص على حد سواء.

فعند حديثنا عن الآليات والأدوات فإنّنا نمهد لثبات النص واستقراره، فكلما كان النص مبني على ضوابط تسيرها تقنيات التماسك كلما أصبح النص في لحمة واحدة ثابتة مستقرة.

يقول كريستال: «أنّ هذه الأدوات تفسر أو تشرح كيف أنّ جمل النص تترابط فيما بينها وأنّها تُسهم في بناء تتابع الجمل في صورته التماسكية الكبرى».[1]

4- عناصر التحليل النصي:

إنّ من أهم العناصر النصية التي يمكن الإشارة إليها والتنويه لها هي الجملة باعتبارها أهم جزء من أجزاء النص، أو كما نقول عليها بالبنية الأولى التي يبنى عليها النص بها يستقيم النص أو يفسد.

فعند الكتابة نسعى إلى اختيار أهم الكلمات والجمل التي تؤدي المعنى في جزالة وحسن الإفهام، لذا كان لابد من تبني هذا العنصر القيم من النص الذي يحدد نصيته في شكلها الكلي الموحد.

كما لا نغفل على دور الجملة الأولى من النص؛ أي بدايات النص «ففي الغالب يركز المرسل كل جهوده في هذه الجملة، إذ يكون ما بعدها غالبا تفسيرا لها، وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد».[2]

«وهذا كثير في القرآن الكريم فمثلا بداية السور بالحروف فعند ملاحظة الآيات تقصيها تستنتج أنّ تلك الحروف التي تصدرت السورة، فإنّها الأكثر تداولا في الكلمات والعبارات، فمثلا في سورة "ق" فقد تكرر الحرف في الكلمات في معظم الآيات الكريمة»[3]، وهذه الميزة اشتهرت بكثرة في سور القرآن الكريم وهذا إلاّ أمرا بالإعجاز وحسن النظم والسبك.

ولأهميتها القصوى تعرض لها العديد من العلماء النحاة والبلاغيين منهم، فهم يؤكدون على ضرورة العناية بالجملة الأولى لأنّها هي التي تحدد الوظيفة الترابطية للنص.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 65.

[2] المرجع نفسه، ص 65.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

«الجملة الأولى في أي نص تمثل معلما عليه يقوم اللاحق منها ويعود، وداخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول منها معلما تقوم عليه سائر مكوناتها»[1]؛ أي أنّها الأولى التي تُربط عليها السلسلة فإذا لم تكن محكمة قد تتلاشى وتتبعثر الأفكار والأحداث المُصورة في النص، فهي جملة افتتاحية تسحب القارئ إلى النص وتشده إليها.

أما عن العنصر الثاني الذي يمكن التحدث عنه أيضا الإحالة التي تعد من أهم آليات التماسك النصي، فهي تساهم في التعرف على ما تحيل إليه المرجعيات من ضمائر أو أسماء الإشارة أو غيرها من الآليات اللسانية النصية، وليس هذا فقط فإنّ الإحالة غير مرهونة بالنص في مستواه الداخلي فقط؛ أي عند الشعور بتقلبات أثناء الفهم أو مواجهة بعض الصعوبات في الرجوع إلى ما تحيل إليه تلك العناصر المحيلة يمكن الاستعانة بالسياق كمرجع خارج النص يدلنا على المعاني الناقصة والمبهمة في النص.

وعليه فإنّ أهمية هذه الدراسة النصية تكمن في عمليات التحليل والتفسير التي من شأنها أن تحقق للنص تماسكه وتلاحمه، فهي التي تتمثل عليها وسائل التماسك النصي الذي تبرز أهميته في «أنّ الكلام لا يكون مفيدا إذا كان مجتمعا بعضه مع بعض الآخر دون ترابط»[2]؛ أي أنّ الكلام الذي لا يتسم بالترابط والتماسك هو كلام لا جدوى منه عبارة عن أصوات لا تؤدي أي وظيفة تواصلية.

وعليه تحدد وظيفة لسانيات النص بالوقوف على مختلف العمليات التي تجسد مظاهر هذا العلم الذي يكشف عن القوانين التي يكون بها النص نصا، وليس هذا فقط وإنما وضع منهجية واستراتيجية تمكننا من تحليل النصوص وشرحها وتأويلها ووصفها وصفا علميا دقيقا يشرح أشكال التواصل واستخدامات اللغة، ومن هنا يمكننا القول بأنّ لسانيات النص منهجا يحدد سمات نصية في صورها المختلفة.

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص 74.

الفصل الثاني

التماسك النصي

الفصل الثاني: التماسك النصي.

المبحث الأول: التماسك النصي مفهومه وأهميته.

الترابط النصي من أهم الظواهر النصية التي حظيت باهتمام كبير في الدراسات اللغوية المعاصرة، فقد شغلت تفكير علماء النص بحيث خصصوا لها عناية فائقة على اعتبار أنّها خاصية أساسية يقوم عليها النص فهي تحدد نصيته؛ أي تميزه عن لا نص فيقول سعيد يقطين في هذا الصدد: «أنّ الترابط النصي هو السمة التفاعلية المميزة للنص»[1]، ما يعني أنّ خاصية التماسك هي التي تحيط بالنص داخليا وخارجيا، ونظرا لهذه الأهمية الكبيرة فقد ألفت كتب زاخرة في هذا المجال لعلى من أهمها كتاب هاليداي ورقية حسن المعنون بالتماسك في الإنجليزية Cohésion in english، فقد عني هذا الكتاب بالتماسك بالدرجة الأولى فإنّه شرط من شروط بناء النص وتكوينه، كما عني أيضا بتوضيحات مفهومية وعرض مختلف الأدوات التي يتحقق بها هذا التماسك.

فعند الشروع في رسم معالم هذا الاتجاه لابد من فهم وتحليل كل المكونات النصية التي تحتوي على جمل مترابطة مع سابقها ولاحقها من الجمل والعبارات، «فقد تجسدت أمامهم فائدة الترابط والتلاحم بدءا بالربط بين المستويات اللغوية المختلفة في النص الواحد»[2]؛ أي أنّه لا يمكن الفصل بين المستوى الصوتي والنحوي والتركيبي والمعجمي والتداولي نظرا للعلاقة الوطيدة التي تجمع بينهما في تحقيق الاتساق والانسجام الذي يتجلى في البنية الكلية للنص، فيقول علي أبو المكارم: «إنّ الاتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحا مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته»[3]، فهو يعني بأنّ

---

[1] سالم بن محمد المنظري: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات البنيوية، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، ط1، 2015م، ص 43.

[2] أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرف، مصر، ط1، 2001م، ص 95.

[3] المرجع نفسه، ص 95.

الترابط والتلاحم المتشاكل داخل النص من بدايته إلى آخره كلاً متماسكا لا يقبل التجزئة، لأنّ وحداته مترابطة فيما بينها وكأنّها جسم واحد لا يمكن فصل أجزائه بعضها عن بعض، ومن ثم فإنّ هذا التلاحم لا يتشكل بسهولة وإنما يمر بعده مراحل نراعي فيها مجموعة من المعايير النصية التي يبنى عليها النص، لكن هناك بعض الصعوبات التي قد تعرقل سيرورته في الحصول على هذا الترابط يستلزم فيه وجود قدرة كافية تعينه على إدراك مختلف العلاقات التي تجمع بين وحداته، يقول الدكتور علي أبو المكارم: «إذا تحقق الاتساق على هذا المستوى يتطلب قدرة على النظر الشامل، ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة».[1]

ما يمكن ذكره في هذا الشأن الجهود المبذولة في هذا المجال من قبل ديبجراند ودريسلر الذين صنفوا المعايير النصية في سبعة معايير تمثلت في الاتساق والانسجام، المقصدية، المقبولية، السياق، والتناص، فإذا خلا النص من هذه المعايير فهو لا يعد نصا وإنما جمل متراصة غير مترابطة منفصلة عن بعضها البعض، وما نقصده لابد من هذه الشروط حتى ولو لم تتوفر كلها يمكننا أن نكتفي فقط بالاتساق والانسجام؛ أي أنّ الجملة تحتوي على رابطة واحدة على الأقل.

لإدراك أهمية التماسك النصي كان لابد من تقسيمه إلى خاصيتين ألا وهما خاصية الاتساق والانسجام، فالاتساق يختص بالشكل الظاهري للنص أي البنية التركيبية التي يتشكل عليها، أما الانسجام هو تلك الوسائل الدلالية المكونة للنص أي البنية العميقة المتعلقة بالتفكير الذاتي؛ أي أنّ التماسك يكمن في الصلة القوية بين اللغة والتفكير، «فإنّه من المفيد التمييز بين الاتساق باعتباره قائما على الصياغة، والانسجام باعتباره قائما على نقل المعلومات، فإذا استقام هذا أمكن أن يعتبر الاتساق من مظاهر النحوية والانسجام من مظاهر المقبولية »[2]، فإنّه يطلق على الاتساق الترابط الكلي وعلى الانسجام الترابط الدلالي،

[1] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 96.

[2] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 45.

«فتماسك بهذا المعنى يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ومن بين هذه الأدوات المرجعية»[1]، هذا يضفي إلى أنّ التماسك النصي هو ترابط أجزاء النص الشكلية والمضمونية التي تشكل وحدة متكاملة، أو هو التعالق الداخلي والخارجي بين محتويات النص مع الاهتمام بالسياق؛ أي الظروف المحيطة به فهي غالبا ما تساهم في تحليل النص وتفسيره، فأحيانا نقع في إشكالية ، غموض بعض النصوص أو الفقرات لذا وجب اللجوء إلى السياق كمخرج منطقي يكشف عن الالتباسات المرهونة في صلب هذا النص ومحاولة الوقوف على دلالة الألفاظ والعبارات.

«وهذا جلي في السور القرآنية على الرغم من اختلاف أسباب النزول والموضوعات التي طرحت في السور والآيات، وحتى القصص التي تناولتها السور متباينة فيما بينها ومع ذلك فهي متماسكة ومنسجمة بأسلوب خارق للعادة معجز في نصه وتركيبه وتأليفه».[2]

ولذا أهمية التماسك النصي تتبلور على متن البعد الزمني بين النص والمتلقي قد يفصل بينهما فترة زمنية دقائق أو ساعات أو حتى عقود من الزمن، وتمثل هذا في كتاب الله عز وجل فإنّه يحاكي كل القضايا التي تضم الحياة الانسانية فهو دستور رباني شامل.

وعلى سبيل المثال في سور المزمل: «نزل شطرها الأول ثم نزل الشطر الثاني منها بعد اثنى عشر شهرا من الأول، ومع ذلك التماسك بين الشطرين من خلال العديد من الأدوات».[3]

ما يحسن قوله هنا أنّ الترابط النصي قد تجسد في ثناية هذه الآيات الكريمة في سورة مزمل على الرغم من الفترة المتباعدة بين نزول الشطر الأول والثاني من السورة، إلاّ أنّه لا

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، ج1، 2000م، ص 97.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 97.

[3] المرجع نفسه، ص 100.

وجود لأي خلل في ارتباط الآيات مع بعضها البعض؛ أي لم يحصل تنافر أو تفكك وعدم تناسق بين هذه الآيات بل بالعكس هناك ترابط وتلاحم دقيق تعجز عن تصديقه وحصر آلياته، بل تتصدى لك مواقف مبهرة خلال مسيرتك في تحليل النص القرآني ودراسة مدى تماسكه وترابطه، هذا ما سنأتي على ذكره في الفصل التطبيقي فيما بعد

ما يتسنى ذكره في هذا الموضع دور السياق والمتلقي على حد سواء في تأدية الترابط والتماسك النصي الذي يتضح في أمرين أساسيين هما: «وظيفة السياق في تحقيق التماسك ووظيفة المتلقي في الحكم على تماسك النص من عدمه»[1]، والمراد بهذا أنّ دور السياق يكمن في تحديد معنى النص؛ أي معنى الكلمات والجملة وتحديد دلالة الوحدات اللغوية التي يتحقق بها التماسك الدلالي الذي نستشفه من البيئة المحيطة التي نعيش فيها، فالسياق وسيلة من وسائل انتاج النص فالظروف المتحكمة في بنائه هي التي تحدد معنى النص في غالب الأحيان، لأنّها تعرض استراتيجيات تطبيقية في آليات بناء النص فلكل مجتمع لغته وثقافته وعاداته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، لذا لابد من مراعاة هاته الأساسيات حتى يتسنى لنا أن ننشئ نصوص متماسكة لا تشكو من أي خلل، وذلك تحسبا لمشكلة الغموض التي تواجهنا أثناء التحليل النصي «لأنّ الغموض يؤدي إلى غموض الدلالة، وغياب الدلالة يؤدي لا ريب إلى غياب التماسك...»[2]، لذا من الأجدر أن نستنجد بالسياق الذي يفك الإبهام عن النص لا محال، ففي سبيل تحقيق التماسك فعلى كل العلاقات الداخلية والخارجية أن تتّحد معا قصد بلوغ هذا الهدف الذي يرمي إلى الترابط النصي.

ولهذا يصرح فيرث: «بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسيق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة...فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأنّ

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 100.

معاني هذه الوحدات لا يمكن وصلها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها...».[1]

الشكل الموالي سيرسم أبعاد هذه العلاقات النصية.

[2]

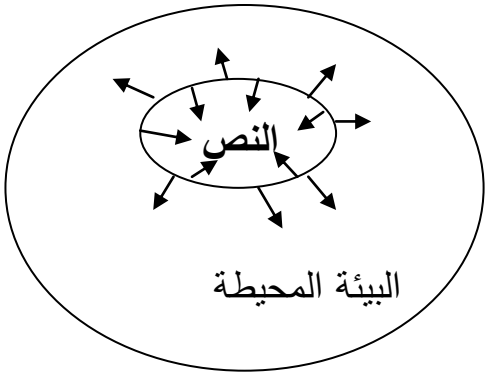

فالنص إذن تتجاذبه علاقات داخلية وخارجية كي يتماسك، فهو واقع كذلك بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة؛ بمعنى أنّ العلاقة بين النص والسياق هي علاقة مؤكدة، فكل من النص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر.

ولا يتوقف الأمر عند هذه العلاقة بل يتعداها إلى الركن الأساسي الذي لا يقل أهمية عنهما في ترابط النص، ولا يخفى أنّ للمتلقي دورا هاما في تحليل النص وتفسيره، فهو القراءة الثانية للنص التي تحكم على قيمة النص وتقيمه، على اعتباره شريكا للمؤلف في الوصول إلى المعنى الحقيقي، وعلى هذا النحو فالمتلقي هو الذي يدرك طبيعة النص والوسائل المعتمدة في تشكيله، وبمعنى آخر هو الذي يحكم على تماسك النص اعتمادا على كفاءته اللغوية في تحديد الأدوات التي يتماسك بها النص.

وعليه فالتماسك خاصية جوهرية من خواص النص، فهو التعبير السطحي والدلالي لسلسلة من العلاقات التي تساهم في خلق النص كبنية ذات جملة من العلامات الدلالية في شكل نظام خاص يحتوي هذا الترابط، ولا ينكشف إلاّ بمعالجة النص وتفسيره للوقوف على

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 106.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

مكوناته ومختلف النماذج التطبيقية التي تعطي صورة كاملة وواضحة عن الوسائل المؤدية إلى تماسك النص، «فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص»[1]؛ أي أنّ التماسك يتجلى في مجموع العلاقات التي تربط بين محتويات النص ما يسمح لنا بتحليله وبلوغ الهدف والحقيقة التي يرمي إليها.

ومنه فإنّ التماسك النصي يهتم بالآليات التي تؤدي إلى تماسك النص وجعله كتلة واحدة تتحد فيها العلاقات النحوية والدلالية وكذلك السياق.

[1] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 98.

المبحث الثاني: الاتساق مفهومه وآلياته.

بما أنّ النص بنية ذات عناصر مركبة منظمة مع بعضها البعض متكاملة فيما بينها منسجمة و متسقة تحمل دلالة ضمنية وسطحية نراعي فيها مستويات متعددة لتكوين البنية الكلية للنص، ولا يتحقق هذا التماسك إلاّ بالدراية الكاملة بكل آليات التي تستخدم في هذا الالتحام الواقع بين مكوناته.

فقد أجمع معظم الدارسين في مختلف التعاريف التي سبق ذكرها، فهي تشترط في النصية وجود خاصية التماسك، فإذا انعدمت أصبح النص جمل متراصة جامدة لا تحمل أي دلالة ولا تؤدي وظيفة تواصلية، لهذا كان للترابط ووسائله حيز كبير في الدراسات اللسانية المعاصرة.

وكان للترابط النصي وجهان هما: الاتساق والانسجام وهذا ما سأتطرق إليه في هذا المبحث من خلال عرض أهمية الاتساق في تحقيق التماسك والترابط النصي.

إنّ مفهوم الاتساق أو التماسك من أهم المفاهيم التي ركزت عليها لسانيات النص، فهو مصطلح اعتمده هاليداي ورقية حسن للإشارة على مجموعة من الروابط التي تتحكم في ترابط النص وتماسكه لغويا وتركيبيا، بقولهم: «إنّ الاتساق مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص»[1]؛ بمعنى أنّ تلك العلاقات الشكلية الظاهرة في نظام النص هي التي تحكم على مدلوله وتحصيل معناه الحقيقي، فالاتساق شرط أساسي في التعرف على النص ودونه كما أنّه يهتم في الكيفية التي يبنى عليها التماسك النصي، وذلك بتحقيقه لعنصر الاستمرارية والثبات في تقديم المعلومات أو الحقائق على شكل مخطط منظم وفق آليات تتصل مع بعضها البعض في هيكل واحد مبني على أساس نحوي ومعجمي، فالنص مجموعة من الوحدات المتداخلة والمتشابكة والمتكاملة التي تحتوي على سلسلة من الأفكار المتتابعة المرتبطة مع سابقها ولاحقها، دون الشعور بأي تناقض في محتواها بل إنما تؤدي

[1] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 47.

وظيفتها على أتم وجه، فإذا كان النص مفككا في ظاهره حتما يكون مفككا في داخله، فغياب أدوات الربط أو سوء الاستعمال يؤدي لا محال إلى تعذر فهم النص أو إدراك علاقة الجمل فيما بينها؛ ما يعني أنّ للاتساق دور مهم في فهم النص وتحليله وعرض أشكال ووسائل قيامه التي من شأنها أن تفتح المجال أمام القارئ ليتدبر في النص قصد التعرف على ماهيته المتواجدة في مختلف معانيه ووظائفه.

تعددت آراء العلماء واختلفت في رصد أدوات الاتساق المحققة لتماسك النص، غير أنّ هذا لا يمنع من وجود أدوات رئيسية تشترك بينهم، سنحاول عرض بعض ما قدمه النصيون فيما يتعلق بحصر هذه الأدوات.

1/ الإحالة: من أهم الوسائل التي تحقق للنص التحامه وتماسكه والمقصود بها الإشارة إلى عنصر من العناصر السابقة أو اللاحقة المذكورة في جزء من أجزاء النص، فهي عملية تعويض وحدة بوحدة أخرى تدل عليها أو العودة إلى ما تشير إليه تلك الأدوات الإحالية قصد تأويلها، وفي مقامنا هذا يقول «جون لوينز إنما العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات»[1]؛ أي تلك الصلة التي تربط بين المحيل والمحيل إليه فهي علاقة دلالية تخضع لمبدأ التطابق بين ما سبق ذكره وبين ما هو في موضع آخر، «لأنّ العناصر المحيلة كيف ما كان نوعها لا تتكتفي بذاتها من حيث التأويل»[2]، لابد من الرجوع إلى الأصل في تفسير العناصر القبلية والبعدية، فالتعريف الأكثر شمولية ودقة «أنّ الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبيرا ما، ولكنها شيئا يمكن أن يحيل عليه شخصا ما باستعماله تعبيرا معينا»[3]، المتكلم هو المسؤول عن توجيه العبارات والمواقف اللغوية حسب غايته في التعبير عنها باعتماده للإحالة التي يراها مناسبة لمقام حديثه.

[1] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص116.

[2] محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص 17.

[3] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 116.

وللإحالة أكثر من وجه: إحالة بالضمائر، الإحالة بأسماء الإشارة وإحالة بأسماء الموصولة، الإحالة بإعادة الذكر أو التكرار.

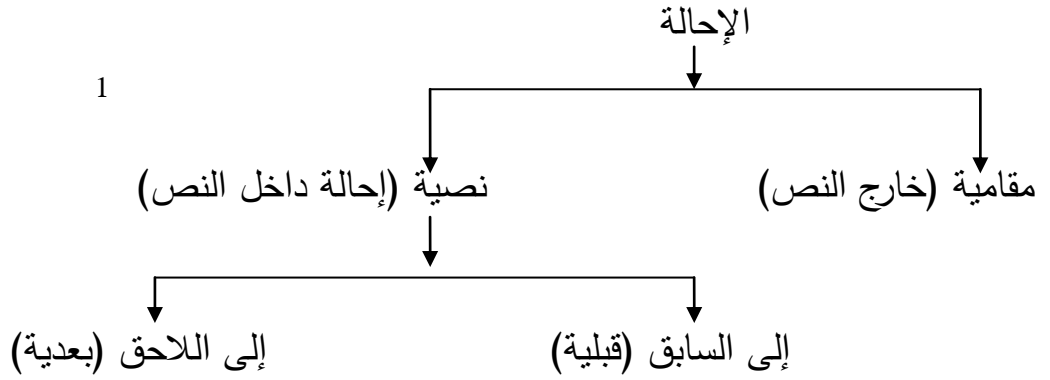

[1]

ما نستنتج من خلال هذا المخطط أنّ للإحالة قسمين:

أ/ الإحالة المقامية: وهي الإحالة إلى خارج النص أو الإحالة لغير المذكور، فهذا النوع من الإحالة يتطلب من القارئ أو المستمع أن يتعرف على المحال إليه؛ أي بمعرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص، حتى يتسنى له معرفة المحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بهذا النص، فهي إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، وعن دور الإحالة المقامية في خلق الاتساق بين أجزاء النص بقول هاليداي ورقية حسن: «إلى أنّ الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، تربط اللغة بسياق المقام إلاّ أنّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص»[2]، ولذا يتخذها المؤلفان معيارا للإحالة ومن ثم يولونها أهمية بالغة في بحثهما وبالخصوص النوع الثاني من الإحالة ألا وهي الإحالة النصية التي تضفي صفة الترابط والاتساق في النص.

[1] محمد خطابي، المرجع السابق، ص 17.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 71.

ب/ الإحالة النصية (الداخلية): وهي تعني العلاقة الإحالية داخل النص بحيث تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق في النص، وتختص هذه الإحالة بعناصر جزئية أو كلية تشترط وجود عناصر لغوية كضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة...في ملفوظ سابق أو لاحق لا يكتفي بذاته عند الحاجة إلى تأويله، ومنه فالإحالة داخل النص هي الإحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ السابق أو اللاحق، ونعني بالإحالة السابقة هي التي تعود على عنصر سبق التلفظ به؛ أي تعويض عنصر بعنصر يدل عليه من هذا المنطلق نلاحظ أنّ الإحالة النصية تنقسم بدورها إلى قسمين: إحالة سابقة وإحالة بعدية.

ونعني بالإحالة السابقة أو المتقدمة تلك الصيغة الإحالية التي تفسر ما سبق التلفظ به؛ أي العودة إلى ما سبق ذكره، وهذا النوع من الإحالة هو الأكثر شيوعا في الخطاب.

أما فيما يخص النوع الثاني من الإحالة النصية أي الإحالة اللاحقة أو البعدية التي تدل على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص؛ أي استعمال كلمة أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا وهذا ما يسمى في اللغة العربية ضمير الشأن، حيث يكون الضمير في بداية جملة تأتي بعده تفسر دلالته وتوضح المراد منه وهي إحالة على اللاحق الذي لم يذكر بعد، هذا ما يدفع المتلقي إلى البحث عن صاحب هذه الإحالة أو على من يعود هذا الضمير، إذ يجعله دائما متشوقا متحفزا إلى معرفة مرجع هذا اللفظ ليصنع منه رابطا أساسيا في تفسير الأحداث القائمة.

ويعد هذا النوع من الإحالة عسيرا أحيانا لصعوبته، فهو يتطلب الدقة والمتابعة في تسلسل الأفكار والمعاني خوفا من الوقوع في الغموض أو التشوش وربما هذا هو السبب وراء قلة استخدامها.

ويقول الخطابي في هذا الصدد: «أنّ القاعدة العامة لعناصر الإحالة المقامية أو النصية فإنّها تحيل إلى السابق أو اللاحق»[1]؛ أي أنّ كل العناصر تمتلك إمكانية الإحالة والاستعمال وحده هو الذي يحدد إحالتها، فعلى الرغم من الفروق الجوهرية التي تظهر لنا إلا أنّها تتفق على مبدأ واحد هو تحقيق الاتساق، وهذا ما تحدث عنه هاليداي ورقية حسن كما سبق وأن ذكرنا أنّها تفيد الربط بين أجزاء النص، ولتجسيد ذلك لابد من توفر عناصر إحالية تفسر معنى الكلمات والألفاظ فور العودة إلى ما تحيل إليه، وتتمثل وسائل الترابط الإحالية في ثلاثة وسائل وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

ويقصد بأدوات الإحالة تلك العناصر التي يعتمد عليها المتلقي من أجل تحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، فهي لا تمتلك دلالة مستقلة بذاتها وإنما ترتبط بأشياء أخرى تحيل إلى المعنى، وهذه العناصر متنوعة ومتعددة بحسب مفهوم الإحالة إلا أنّ كثير من الدراسات تقسم أدوات الإحالة كما يلي:

أ- **الضمائر**: أسهب علماء النص المعاصرون في الحديث عن الضمائر وأهميتها في تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي، فهي التي تساهم في تشكيل معنى النص وإبرازه، لكونها تحيل إلى عناصر سبق ذكرها، بمعنى أنّ الضمائر هي المسؤولة عن تصوير دور المشاركين في عملية التلفظ ذلك لأنّها تعبر عن جمل سابقة، فهي لا تقف عند المسميات أو الأشخاص أو حتى الأشياء وإنما تتجاوزها إلى الإشارة عن فقرات وعبارات كانت مذكورة سابقا، هذا من شأنه يجسد المعنى الحقيقي بطريقة موجزة ومرتبة ترتيبا سليما، كما أنّها تتفرع إلى «ضمائر وجودية: أنا، نحن، هو، هي...وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا...».[2]

[1] ينظر: محمد خطابي، المرجع السابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 18.

ونجد من وسّع مفهوم الضمائر وجعلها على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، بل تعداها إلى أسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

ومما سبق نستنتج دور الضمائر وأهميتها في جملة من النقاط أهمها:

– للضمائر أهمية كبيرة في عملية التخاطب الخاصة بين المتكلم والمخاطب، فهي تساهم بشكل كبير في تحقيق ترابط النص وتماسكه.

– للضمائر وظيفة إشارية ومرجعية تسعى إلى الربط بين أجزاء النص.

– تحقق الضمائر الاختصار والإيجاز في التعبير عن المعنى المراد.

ب– أسماء الإشارة:

يرى عدد من الباحثين أنّ الإحالة بواسطة أسماء الإشارة وثاني وسيلة من وسائل الاتساق الداخلية، فإنّ هاليداي ورقية حسن توصلوا إلى عدّة امكانيات لتصنيف أسماء الإشارة إذ تصنف إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غذا)، أو المكان (هنا، هناك...)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...)، أو حسب القرب (هذه، هذا...).[1]

هذا التصنيف الشامل الذي صرح به كل من هاليداي ورقية حسن إنما يدل على أنّ لأسماء الإشارة إمكانيات مميزة للإحالة القبلية والبعدية، بمعنى أنّها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق مما يؤدي إلى اتساق النص وتماسكه، «فإنّ اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان الإحالة الموسعة»؛ أي إمكانية الإحالة إلى بأكملها أو متتالية من الجمل، وعلى أثر هذا يمكننا أن نكتسب القدرة الكافية على تعويض عددا لابأس به من الجمل بدلا من تكرار المسميات أو بعض الكلمات والألفاظ التي تنوب عن بعض الجمل والمقاطع والمفاهيم السابقة.

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 19.

جـ- المقارنة: هي شكل من أشكال الإحالة تتحلى بمجموعة من العبارات المخصصة لها، وتنقسم إلى عامة ويتفرع منها التطابق، التشابه، والاختلاف، ومن أمثلته (مثل، نفس، غير)، وإلى مقارنة خاصة وتتفرع إلى مقارنة كيفية ومن أمثلتها (أكثر، أفضل، أجمل، جميل..).[1]

3- الاستبدال: إنّ الحديث عن الاستبدال يدعو إلى الحديث عن المنهج الاستبدالي ثنائية ديسوسير تلك العلاقة السياقية الأفقية العمودية، التي تعني بها المحور الأفقي العمودي الذي من خلاله نرسم هذه العلاقة في شكل واضح وتام، بمعنى أنّ المحور الأفقي أو التركيبي هو مجموع الوحدات المتواجدة في العقل؛ أي تلك الحقول الدلالية والصرفية والنحوية، ولا يظهر أنّه النموذج التركيبي إلاّ من خلال الاستعمال بمعنى استعمال هذه الوحدات في جملة مفيدة، أما المحور العمودي الذي ينظم مفردات مختلفة تمثل كفاءة لغوية مكتسبة للمتكلم أو الكاتب، وتختلف من شخص إلى آخر بحسب قدرته اللغوية والأدبية التي ستمكنه من التلاعب بالكلمات أو المفردات، فهو يقوم باختيارها حسب ما يناسبه وما يحتاج إلى توظيفه داخل نصه بمعنى: أنّه يستبدل الكلمات التي استخدمها بالفعل ويأتي بكلمات تحل محلها في سياق واحد يؤدي فيه المعنى المقصود، أما مفهوم الاستبدال فهو عبارة عن عملية نصية داخلية «تعتمد على تعويض عنصر بعنصر آخر»[2]، إذ يعدّ الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة فإذا كانت الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، فإذا الاستبدال عملية معجمية نحوية تقوم بين الكلمات والعبارات، ويتقاطع الاستبدال مع الإحالة في كونها مادة أساسية يتحقق بها الاتساق على اعتبار أنّ الاستبدال من مظاهر اتساق النصوص والتماسك، فالاستبدال هو وسيلة من وسائل التماسك التي لا نستغنى عنها داخل النص للحكم على اتساقه وترابطه، من خلال خاصيته المتميزة في تعويض عنصر لغوي لعنصر آخر، فهذه المساهمة هي عملية داخلية بين الكلمات والعبارات المشكلة للنص، بحيث يذكر عنصر ثم يستبدل في الجملة نفسها أو في جملة أخرى بعنصر لغوي مختلف.

[1] ينظر: محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

هكذا يمكن الوقوف على العلاقة القائمة بين المستبدل والعنصر المستبدل به، وهذه العلاقة تسمى علاقة التقابل التي تسمح بالاستمرارية الدلالية من خلال وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة؛ أي أنّها تقتضي إعادة التحديد حتى ولو توسعت المسافة بين العبارات والفقرات إلاّ أنّ هذا لا يلغي وظيفة الاتساق داخل النص.

يقول إبراهيم خليل: «الفرق بين الاستبدال والإحالة أنّ الثاني يحيل على شيء غير لغوي في أوقات معينة، في حين أنّ الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ وذلك الذي يجاوره وذلك اللفظ الذي يدل على الشيء الذي تقدم ذكره»[1]، فمن مزايا هذه الظاهرة اللغوية أنّها تمكن كاتب النص من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الاستعمال المفرط للضمائر الأمر الذي قد ينعكس سلبا على النص.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:

[2]

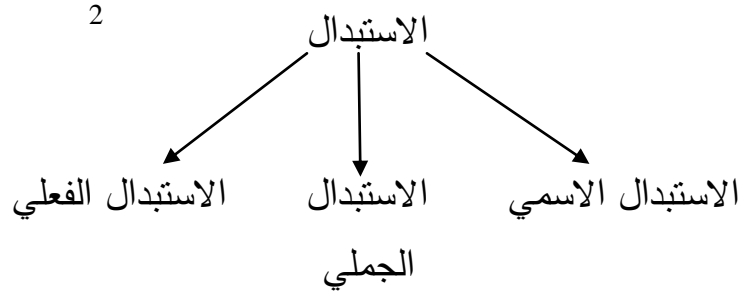

1- الاستبدال الاسمي:

يتم باستعمال عناصر لغوية؛ أي: اسم باسم آخر، كما يمكن أنّ الاسم المستبدل جزءا من الاسم المستبدل، مثلا: آخر، آخرون، نفس، واحد، ذات...إلخ.

2- الاستبدال الفعلي: ويكون غالبا باستعمال الفعل (يفعل)، كما يغلب عليه تجاوز حدود الجملة الواحدة ليحقق بذلك الاتساق بين الجمل.

[1] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 91.

[2] خليل بن ياسر الباطشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، 2009م

3- الاستبدال القولي: ويختص باستبدال كلمة واحدة لجملة كاملة، وفي العربية تعبر عنه كلمات مثل: هذا، ذلك.

وبناء على ما سبق ذكره يتضح لنا جليا بأنّ الاستبدال يساهم بشكل أو آخر في تحقيق النصية لكونه يساهم في تماسك أجزاء النص، من خلال وجهتين الأولى استمرارية وجود المعنى عبر أجزاء النص، والثانية من غير الممكن إدراك معنى العنصر الثاني (المستبدل) دون العودة إلى العنصر الأول؛ أي الرجوع إلى السياق السابق ذكره وبالتالي فإنّ النص بهذه الطريقة يكون مترابطا ومتلاحما بين أجزائه.

3- الحذف: ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الانسانية، فبطبيعتنا نميل إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا لمختلف الدلالات المحيلة إليه.

لهذا لقيت اهتماما كبيرا من العلماء قديما وحديثا، سبقنا فيها القدامى حتى أنّهم خصصوا لها أبوابا ومباحث طويلة وعريضة تناولوها من كل جوانبها، عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز في باب الحذف «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذ لم تبن...».[1]

يتضح من كلامه هذا أنّ الجرجاني على دراية لمكامن هذه الظاهرة التي وقف عندها مندهشا وحائرا لما فيها من فائدة في تحقيق جزالة اللفظ وبلوغ المعنى في صورة تغرس الفضول في نفس المتلقي تدفعه للبحث عن وسيلة لسد ذلك الفراغ بالرجوع إلى الخطاب السابق ومحاولة ربطه بأفكار لاحقة، وهذا الجهد هو الذي يمنحه الشعور باللذة وشوقه على معرفة المزيد حول هذا النص من أجل تفسيره وتوضيحه.

[1] يسرى نوفل، المرجع السابق، ص 94.

والحذف كما يعرّفه دي بوجراند: «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن وأن يوسع وأن يعدل بواسطة العبارات الناقصة»[1]؛ أي أنّ المحذوف من الكلام لو بقي فإنّه يشكل خللا على مستوى النص، تتمثل في الإطناب والزيادة.

ومن شروط الحذف في اللغة «أن لا يتم إلاّ إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مُغنيا في الدلالة كافيا في أداء الملقي، وقد يحذف أحد العناصر لأنّ هناك قرائن معنوية أو مقالية تومي إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره»[2]؛ أي أنّ الحذف يراعى فيه القرائن المعنوية والمقامية لأنّ نحو النص يعتمد على ذلك، فيعدّ السياق والمقام من أساسيات الحذف التي يتحقق بواسطتها الترابط وذلك بملأ الفراغ بعد القيام بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من الخطاب.

وعليه فالحذف هو الاستغناء عن بعض العناصر التركيبية السطحية للنص ذات محتوى دلالي، ففي حذف هذه العناصر معنى أحسن وأبلغ.

كما أنّ هذه الجمل المحذوفة هي الأساس في ربط أجزاء النص لأنّها وسيلة من وسائل التماسك النصي التي أكد عليها هاليداي ورقية حسن.

فكل من الاستبدال والحذف وظيفة مشتركة ومتشابهة لأنّها ذو علاقة قبلية، لكن الاستبدال يختلف عن الحذف في كونه يترك أثر يسترشد به المتلقي وهو كلمة محيلة به، «أما الحذف استبدال من الصفر»[3]؛ أي أنّ الحذف لا أثر له إلاّ في الدلالة فلا يحل شيء في محل المحذوف، بما أنّ النص لا يخلو من المحذوف، والمحذوف في النص على أنواع.

أ- **الحذف الاسمي:** ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي كحذف اسم المضاف والمضاف إليه، والموصول، والصلة، والموصوف والصفة والمعطوف عليه والمبتدأ والخبر

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 71.

[2] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 125.

[3] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 93.

والمفعول وما إلى ذلك، ولاشك أنّ هذه المواضع قد تكون أسماء أو عبارات أو جمل ولكنها تؤول لمفرد.

ب- الحذف الفعلي: أي أنّ المحذوف يكون عنصرا فعليا مثل: فيما كنت تفكر، المشكلة التي أرقتني أي أفكر في المشكلة.

جـ- الحذف داخل شبه الجملة: مثل كم ثمنه؟ عشرون دينارا.

ولأهمية الحذف لا تكاد تجد مؤلفا في النحو العربي، في علم المعاني وفي إعجاز القرآن وتفسيره لم يتحدث عن هذه الظاهرة، فقد أدرك هؤلاء العلماء أهمية الحذف في تحقيق التماسك النصي، ومن أنماط الحذف المهمة في التحليل النصي حذف الشخصيات.

ولعلى من أكثر الأنماط تحقيقا لمهمة التماسك النصي هي:

1- حذف الاسم.

2- حذف الفعل.

3- حذف العبارة.

4- حذف الجملة.

5- حذف أكثر من جملة.

4- الوصل: يختلف الوصل اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي التي سبق الحديث عنها، فالربط من أهم وسائل الاتساق وأكثرها شيوعا، فهي علاقة تتشكل بين معنيين داخل الجملة الواحدة أو بين جملتين ليحدث بينهما الترابط والتماسك لا الانفصال والانتقاد، فهو كل أداة تؤدي وظيفة الربط اللفظي أو المعنوي، وفي كتاب هاليداي ورقية حسن يصنفان العطف ضمن وسائل الاتساق التي حدداها وهي «المرجعية والإبدال والحذف والعطف والتماسك المعجمي».[1]

[1] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 95.

وهكذا فالوصل هو الذي يحدد الطريقة التي ترتبط بها الجملة السابقة مع اللاحقة بشكل منظم ومرتب، «فيطلق عليه الترابط الموضوعي الشرطي للنص وهو يشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات».[1]

ولأنّ النص عبارة عن جمل متتالية ومتتابعة تتجسد من خلال العناصر الرابطة بين النص والجملة المكونة للالتحام وكأنّها كلمة واحدة مما يجعل منها نصا متسقا يكمل دلالة مشتركة واحدة

ولا يخفى ما تقوم به أدوات العطف عموما في تماسك النص وترابطه، كلما ازدادت أدوات العطف في النص ازداد النص تماسكا وترابطا.

عموما فإنّ علماء النص يقسمون أدوات الربط اعتمادا على أبعادها الدلالية:

1- صنف يفيد الإضافة مثل: الواو أو أيضا بالإضافة...

2- صنف يفيد التعداد مثل: أولا، ثانيا، أخيرا، في النهاية، بعد ذلك.

3- صنف يفيد الشرح: لأنّ، بمعنى، بعبارة أخرى.

4- صنف يفيد التوضيح: مثلا، خاصة.

5- صنف يفيد التمثيل: على غرار، ونحو.

6- صنف يفيد الربط العكسي: لكن، غير أنّ، عكس ذلك.

7- صنف يفيد السبب: إذا، وعليه، وفعلا، نتيجة ذلك، وبناء على ذلك.

8- صنف يفيد الاختصار: بإيجاز، باختصار، وعلى العموم، وأخيرا.

9- صنف يفيد التعاقب الزمني: قبل ذلك، بعد ذلك، ثم، إثر ذلك.[2]

وهذا التصنيف تصنيفا تقريبيا نطرح فيه بعض ملامح العناصر الرابطة نظرا لاختلافها وتعدد معانيها؛ أي يمكن أن يكون للرابط الواحد أكثر من معنى وعليه يتحقق الاتساق في النصوص من خلال آلية الربط بواسطة الأدوات الرابطة التي تخلق في النص

[1] أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 127.

[2] ينظر: سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 98.

تماسكا وارتباطا بين أجزائه، وهذه الوسائل لا يكاد يخلو منها نص إلاّ ويتوفر على جملة من العناصر الرابطة الواصلة بين مكوناته.

5- الاتساق المعجمي:

تعددت وسائل الاتساق فشملت مجموعة من الآليات، من بينها الاتساق المعجمي الذي يعدّ آخر مظهر من مظاهر الاتساق كونه مختلف عن أنواع الاتساق السابقة، ويتحقق الاتساق المعجمي داخل النص بواسطة وسيلتين هما التكرار والتضام.

أ- التكرار:

هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي الذي يقوم «على إعادة أو تكرار وحدة معجمية بلفظها أو بمرادف لها أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسما عاما».[1]

«ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد بل على مستويات متعددة مثل: تكرار الحروف والكلمات والعبارات والفقرات، والقصص أو المواقف كما هو واقع في القرآن الكريم»[2]؛ أي أنّ التكرار ليس مجرد إعادة العناصر اللغوية المعجمية سواء كانت ألفاظا أو مرادفات أو حتى اسما، لكن ما يهمنا وظيفته ودوره الذي يتجلى داخل النص من جمال وبلاغة بعيدة عن الحشو الزائد فنحن نرجو منه حسن النظم والسبك، وإضافة إلى ذلك ما ينجم عن هذا التكرار من أصوات متتابعة ذات نغمة متناسقة تشد السامع تجعله يركز على مدى أهمية هذا اللفظ المتكرر، فهو رسالة مباشرة يوجهها الكاتب إلى القارئ بطريقة يستطيع أن يتعايش معها ويتفاعل باستجابة وقبول.

ويذكر الرضى: «كذلك معنى التكرار قائلا: التكرير ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير..»[3]، إذا فهو يعني أنّ التكرار غرضه تأكيد المعنى

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 24.

[2] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق «دراسة تطبيقية على السور المكية»، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، ط1، 2000م، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

وتوضيحه وترسيخه بطريقة غير مباشرة يصل بها إلى تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة، «ويذكر سعيد بحيري أنّ الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد ألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد...والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام»[1]

والجدير بذكر أنّ التكرار لا يقتصر على البدايات فقط فهو يشمل كل المواقع في الجملة أو الفقرة، بل تكمن وظيفته في ضوء التحليل النصي المعاصرفي تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص.

ويشترط دكتور صلاح فضل «شرطا أساسيا حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة، وهو أن يكون لهذا الملمح المكرر نسبة عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره...وأن يساعدنا رصده على فك شفرة النص وإدراك كيفية أدائه ودلالته...».[2]

إلى هنا كان للباحثين قديما وحديثا أنواعا كثيرة وأصنافا عديدة من التكرار ما جعل نظرتهم إليه مختلفة، فتعددت زوايا النظر إليه والفائدة منه، فقد عُرّف في كتب البلاغة خاصة وكذا في بعض كتب التفسير لغرض معرفة الوظائف التي يؤديها في النص القرائي، ومنه لابد من الإشارة لأنماط التكرار بشكل من الإيجاز والإيضاح فهي كالآتي:

1- التكرار التام أو المحض: هو إعادة العنصر المعجمي؛ ويقصد به تكرار الكلمة كما هي دون تغيير.

2- التكرار الجزئي: وليس الاشتقاقي، إذ تتكرر مادة معينة بأشكال مختلفة.

3- تكرار المعنى واللفظ مختلف: الدلالة واحدة واللفظ مختلف.

4- التوازي: ويتناول الأبنية اللغوية المتماثلة في النص.[3]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 22.

[3] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 124.

ب- التضام: ويطلق عليه التلازم العياري أو المصاحبة المعجمية «فهو توارد زوجين من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، والعلاقة التي تربط هذين الزوجين لا يشترط أن تكون بإيجاب دائما، فقد تكون علاقة تعارض وتقابل»[1]، بمعنى أنّ هناك ثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة معا تربطهما علاقة تعارض، أو هناك ما يطلق عليها علاقة تضاد، وكلما كان هذا التضاد ذي قوة كانت هناك قدرة على الترابط النصي.

وقد ذكر هاليداي ورقية حسن مجموعة من العلاقات التي تدخل تحت إطار التضام التي ليس الضروري توافرها في النص الواحد، ومن أمثلته على علاقة التعارض مثل: ولد/بنت، حي/ميت، أبيض/أسود؛ بمعنى أنّ التضام في تحليله لابد من التركيز على الحقول الدلالية التي من خلالها نتمكن من تصنيف «هذه العلاقات المعجمية: التناقض والتضاد والتشاكل والتكامل».[2]

فهذه العلاقات ليست واضحة بمجرد ملاحظتها بل إنما تحتاج الاطلاع الواسع وعلى الدراية الكاملة بالخلفيات الثقافية، «مما يعني أنّه لا يوجد مقياس آلي صارم يجعل المتلقي يصنف كلمات النص في مجموعة محددة».[3]

وفي الأخير من خلال الأمثلة السابقة نستنتج بالأضداد تتضح المعاني ويظهر النص في شكل سهلا ومبسطا.

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 209.

[2] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 129.

[3] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 209.

ومن خلال التطرق لوسائل الاتساق توصلنا إلى أهم وسائله التي سنوجزها في المخطط الآتي:

[1]

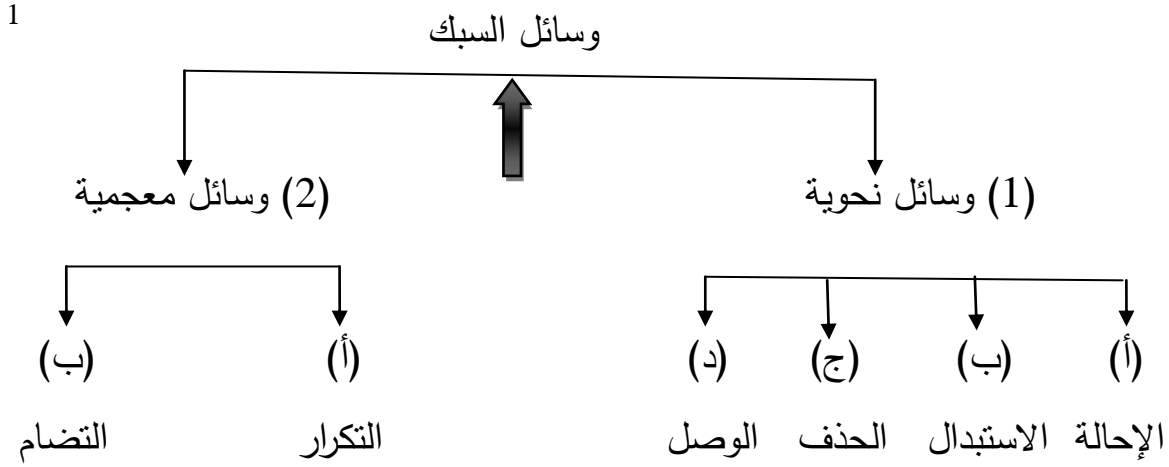

[1] يسرى نوفل، المرجع السابق، ص 40.

المبحث الثالث: الانسجام مفهومه وأهميته:

تحدثنا سابقا عن الاتساق وأهميته البالغة في خلق النص من خلال رصد أدوات الربط بمختلف أنواعها، أما في هذا المبحث سأتطرق إلى معيارا آخر لا يقل أهمية عن سابقه في تحقيق النصية ألا وهو الانسجام سعيا للتعرف على الكيفية التي يتماسك بها النص، فهو لا يقتصر فقط على أدوات الربط وإنما يتجاوزها إلى البحث عن مستويات أخرى كالمستوى الدلالي مثلا على اعتبار الانسجام مكملا للاتساق، فالاتساق يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، ويأتي الانسجام ليكمل هذا الجانب لمراعاة العلاقات القيمية الخفية والروابط الدلالية التي تدلنا على الوحدة الكلية للنص وإلى التماسك النصي الكلي بطريقة مخطط لها مسبقا.

للانسجام تعريفات شتى تصب في نقطة واحدة تدور حول ما يقوم به الانسجام من دور في الربط بين مفاهيم النص ودلالته، إذا «النص يتألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها»[1]، بمعنى أنّ هذه الشروط كل ما كانت حاضرة كل ما حقق النص خلفية الانسجام الذي يربط معاني النص في سلسلة مرتبة وفق آلياته التي تضبط في مستوى البنية العميقة للنص.

«كما عرّفه كريستال بأنّه خاصية تناغم المفاهيم والعلاقات في النص، بحيث تستطيع تصور استدلالات مقبولة فيما يتعلق بالمعنى الضمني للنص»[2]، من خلال قوله هذا نلاحظ أنّه يصرح بضرورة القبول في النص؛ أي أنّ علاقات الانسجام هي التي تصور المراحل التي يمر بها هذا الإنتاج، فبفضله يستطيع المتلقي أن يدرك حل المعلومات و المفاهيم بأسلوب مقنع يترك أثر في نفسه؛ أي يتقبل هذا النص في كليته مع الاستجابة للمتفاعلات النصية بكل شفافية.

[1] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 86.

[2] سالم محمد المنظري، المرجع السابق، ص 52.

وكذا سوفنسكي يعرّف الانسجام بطريقة مبسطة فهو يرى «أنّه يُفضي للجمل والمنطوقات بأنّها محبوكة أي منسجمة إذا اتصلت ببعض المعلومات في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشير معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطعات في المعلومات»[1]؛ هذا يعني أنّه لابد من أن تكون العملية التخاطبية أثناء عملية الاتصال منسجمة فيما بينها من أجل إيصال الفكرة في شكل حلقة منظمة لا يشوبها النقصان، بل عليها أن تسير في محور واحد ما يسمح للسامع أو القارئ بمتابعة الخطاب وفهمه.

إذا إنّ الحبك يمثل العلاقات الغير سطحية بين المعاني في النص لدرجة عند ملاحظتك لظاهر النص فإنّك لا تستطيع إحصاء هذه الروابط وكأنّه خال من رابط يربط بين أجزائه، وهذا راجع لعلاقات الاتساق لأنّها هي المسؤولة عن هذا الدور الذي يجعل من النص متماسكا ومتلاحما.

كما يذهب جلّ العلماء والباحثين في ميدان لسانيات النص إلى عدّ الانسجام أداة من أدوات التماسك النصي، وهذا الأخير يتم بنوعين من الربط يتحقق الأول منهما من خلال أدوات الربط النحوية أو المعجمية، وهو ما يعبر عنه بمصطلح الاتساق، والثاني الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، وهذا النوع من الربط ما يصح بتسميته بمصطلح الانسجام.

بالإضافة إلى الدور الفعال الذي يقوم به الانسجام في تيسير فهم النص وتأويله، فإنّ دي بوجراند قد عدّه ثاني معيارا خاص بالنص ، هنا وإن دلّ إنما يدل على أنّه أمر ضروري في تحقيق النصية، فغيابه يشكل عقبة في طريق المتلقي وعندئذ سيفقد النص خاصية الإقناع والموافقة عليه.

[1] سالم محمد المنظري، المرجع السابق، ص 52.

ما يصح قوله من هذا المنطلق أنّ الانسجام يهتم بمضمون النص ودلالته بخلاف الاتساق الذي يهتم بشكله ومبناه، فإذا تعمقنا أكثر فإنّ النص يتشكل من خلال اتحاد الجانب الكلي مع الجانب المضموني، هذا الأخير الذي يمثل أساس بناء أي نص.

فلسانيات النص تسعى إلى دراسة التماسك على مستوى مضامين النصوص لاكتشاف مدى ترابطها وانسجامها.

«ومع ذلك لا ينبغي إغفال العلاقة القائمة بين المفهومين، فالعلامات التي يدرسها الاتساق هي في الأساس محققة للانسجام، ومن الممكن أن يتحقق الانسجام في نص ما دون الاتساق والعكس صحيح».[1]

بمعنى يمكننا أن نميز بين الاتساق والانسجام، فالأول يعتبر مفهوم عام أما الثاني ذو مفهوم خاص، ومع ذلك في غالب الأحيان لا نستطيع الفصل بينها نظرا لحاجتنا لهاتين الوسيلتين من أجل التعرف على التقنيات المعتمدة في خلق النص كبنية كلية متكاملة.

«ويؤكد هذا الكلام ما كان يراه تشارولس charolles من عدم أهمية التمييز بين الاتساق والانسجام الذي يقترحه البعض؛ بحكم أنّه ليس ممكنا في الوضع الحالي...تقسيم صارم بين القواعد ذات البعد النصي والقواعد ذات البعد الخطابي، ثم يتراجع عن رأيه بعد أربعة عشرة سنة ويكتب مقالا يشير فيه إلى أنّ الفصل بين الاتساق والانسجام أصبح عنده تحصيل حاصل».[2]

من الممكن أن نرى نصا منسجما ولكنه غير متسق كما في الأمثلة الآتية:

الأستاذ: أعطيني دفترك يا عمر.

التلميذ: كنت مريضا أمس يا أستاذ.

الأستاذ: نعم تذكرت بشفاء إن شاء الله.

[1] سالم محمد المنظري، المرجع السابق، ص 53.

[2] المرجع نفسه، ص 53.

تبدو الأفعال الإنجازية بهذه المحادثة متحققة، فهي منسجمة في أجزائها لكنها لم تؤدي وظيفتها في تحقيق العلاقة القضوية، ما يعني أنّها غير متسقة فبمجرد قراءتك لهذا المثال تحس بشيء من النقصان أو وجود ثغرات غير مملوءة ، تجعلك في بعض الأحيان تعيد القراءة مرة ثانية تسعى في كل مرة أن تكشف عن الالتباس وراء هذا الخلل، وتحاول أن تصححه حسب كفاءتك وقدرتك اللغوية لأن يكون لهذه المحادثة انسجاما أكثر، ولو أعدنا صياغتها بالاتساق الذي نقصده لظهرت بالشكل الآتي:

الأستاذ: أعطيني دفترك يا عمر لأصحح الواجب.

التلميذ: لم أحل الواجب لأنّني كنت مريضا أمس يا أستاذ.

الأستاذ: نعم تذكرت الآن أنّك كنت مريضا أمس بشفاء إن شاء الله.[1]

تقول خولة طالب الإبراهيم مستشهدة بأنّ «النص منتوج مترابط متسق ومنسجم وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية، النص كلا تحده مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندرك بصفته كلاً مترابطا بفعل العلاقات النحوية التركيبية بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والروابط والمنظمات العديدة».[2]

ومنه يعد الانسجام معيارًا هامًا للنصية، وهو ذلك الترابط والتماسك الدلالي الذي يربط المفاهيم الضمنية داخل النص فيجعل منه بنية كلية؛ أي أنّه يختص بالنص في ذاته الواقع بين جمله المتتابعة نتيجة علاقات متصلة، فكل جزء يكمل الآخر ولا يتم هذا إلاّ بمجموعة الروابط النصية.

[1] ينظر: سالم محمد المنظري، المرجع السابق، ص 53- 54.

[2] محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 87.

أنواع العلاقات التي تؤدي إلى حبك النص:

المعاني في النص المحبوك لابد أن تكون مترابطة، لذا يستلزم أن نفصل في الحديث عن العلاقات المنسوجة بين المعاني التي تؤدي إلى حبك النص، وهذه العلاقات كثيرة ومتنوعة فقد تكون سطحية أم ضمنية ، وهي تختلف باختلاف النصوص كما قد يتوافر بعضها في نص ما؛ أي لسنا ملازمين باعتماد كل الآليات في النص الواحد حتى يكون محبوكا، ولكن على الأقل يتوافر به بعضها.

وفي صدد حديثنا عن العلاقات التي تساهم في انسجام النص وترابطه يتبادر في أذهاننا ما استخلصه فان ديك من تحليله لثلاثة مقاطع من قصة بوليسية، حاول فيها أن يبرز العلاقات المسؤولة عن تحقيق الانسجام في كل مقطع من المقاطع.

«يعتبر ديك أنّ تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدلالة التي ستمكننا من ذلك، وهي دلالة نسبية؛ أي أنّنا لا نؤول الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها، فالعلاقات بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية».[1]

1- التطابق الذاتي: ويقصد به مطابقة الضمير للاسم العائد عليه.

2- علاقة التضمين والعضوية: علاقة الكل والجزء وعلاقة الملكية.

3- مبدأ الحالة العادية المفترضة للعوالم: أي أن تتماشى الأحداث وفق ما نتوقع بشكل طبيعي.

4- مفهوم الإطار: أي إبعاد دلالة الخطاب عن غير ما تقصد، وترك الأحداث تسير في إطارها الذي أنشأت فيه.

5- التطابق الإحالي: أي مطابقة المحيل للمحيل عليه.

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 34.

6- تعالق المحمولات: أي ورود جملة أو عبارة في المقطع الأول يكون لها صلة أو علاقة في المقاطع التالية تدل عليها كلمة ما أو عبارة ما، مثل حدّقت خارج النافذة متعالق مع المحمول كانت في المكتب ومع المحمول لم ترغب في العمل.

7- العلاقات الرابطة بين المواضيع الجديدة: هي علاقة الرؤية التذكير والاسترجاع لذوات جديدة ترد في الخطاب.

سنكتفي بهذا القدر في تناول العلاقات الملحوظة بين المعاني، فإنّ العلاقات المحققة للانسجام كثيرة ويتفاوت ورودها من نص إلى آخر.

وعليه «فإنّنا نحكم على انسجام النص انطلاقا من معيار القراءة وتفكيك العلاقات الداخلية للنص، من أجل تركيب بناء منسق ومنسجم»[1]، بمعنى أنّ القارئ أو الدارس بمجرد تفاعله مع النص يمكن أن يستخلص مجموعة من أدوات الربط والتنضيد التي تسهر على التكفل بأبنية النص، التي تكشف عن أفكاره واهتماماته وأهدافه مع التوغل في خلايا النص، وبالتالي فإنّ التحليل سيصل إلى المتلقي بصورة أشمل وأوضح.

يقول محمد مفتاح: «إذا كان الزمان والفضاء من بين ثوابت النص، فإنّها بالضرورة يضمنان لانسجامه المعنوي على الخصوص، فليس هناك نص بدون رسالة موجهة إلى متلقي حقيقي أو مفترض تحتوي على معلومات متراكمة يتيسر فهمها وتأويلها على أن بعض أنواع النصوص، ومنها الشعر العربي المحدث والمعاصر تفاجئ المتلقي الذي لا مراس له في الجمال»[2]، فعند الخوض في مسألة التماسك لابد من التركيز على معيار الربط الدلالي الذي من شأنه أن يحقق هدف النص؛ أي بلوغ المعنى المراد حتى ولو لم يراعى فيه الربط الشكلي لأنّه يستطيع أن يستخلص معنى منسجم للنص مهما كلفه ذلك من عناء.

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

فمن أجل التقصي عن الانسجام وتحديد مظاهره اقترحت اللسانيات مجموعة من الآليات لفهم الخطاب كيفما كانت هويته:

1- التساؤل من فعل؟ وماذا فعل؟ وأين؟ ومتى وكيف؟ ولماذا؟

2- الارتباط المعجمي بنوعيه الكبيرين: التراكمي والتقابلي.

3- الارتباط التركيبي الحاصل بالضمائر، وأداة التعريف، واسم العلم وأسماء الإشارة، وبعض أدوات العطف والتوازي والتقابل.

4- نظرية الإطار والحوار والمدونات.[1]

وإن لم تسعفه هذه الأدوات على خلق انسجام النص فعليه أن يستعين بتناول القراءة الذكية لمواجهة التحديات والثغرات التي تقف أمامه ليستطيع التعامل معها بسهولة، وهذا ما صرح به مفتاح فيقول: «غير أنّ هذه الآليات جميعا قد لا تسعف المحلل في الربط بين معاني النصوص المشتقة والمتبعثرة الخارقة لكل الأعراف اللغوية المتعارفة، وحينئذ فإنّه لا يبقى مكتوف الأيادي وإنما يلجأ إلى تقنية الاستنباط بنوعيه المهمين ليملأ الثغرات الموجودة في النص، إلاّ أنّه على المحلل أن يتخذ ملء الفجوات ذريعة ليسير في هذيان محموم، ولكن عليه أن يتقيد بقواعد القراءة والتأويل».[2]

والآن يمكن حصر آليات الانسجام فيما يلي:

آليات الانسجام:

1- البنية الكلية:

عند تحليل المتلقي أو القارئ لأي نص من الوهلة الأولى يلجأ إليه بمنظور كلي، فعند الشروع في أي عملية تحليلية وتأويلية يتناول النص ككل، ثم يتطرق فيما بعد إلى أجزائه بالشرح والتحميص، فهذا أمر طبيعي في أي نوع من النصوص على اختلافها.

[1] ينظر: جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 81- 82.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

ويحدد فان ديك مفهوم البنية الكلية «أن يكون للخطاب جامع دلالي وقضية موضوعية يتمحور النص حولها، ويحاول تقديمها بأنواع متعددة، وهي الفكرة الأساسية والرئيسية التي تتضمن معلومات المحتوى المهمة المحددة للبناء في كامل النص بشكل مركز ومحدد».[1]

«على أنّ البنية الكلية ليست شيئا معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد حدسي به تتجلى كلية الخطاب ووحدته»[2]؛ أي أنّ البنية الكبرى هي تمثيل دلالي إما لقضية ما أو مجموعة من القضايا أو خطاب بأكمله.

ومنه فإنّنا نقصد بالبنية الكلية أنّها مفهوم مجرد يستنبط بمجموعة من الآليات التي من خلالها نستطيع أن نجسده بطريقة ملموسة تحتاج إلى نظرة عميقة لمضمون النص تجعل منه مفهوما مقبولا.

ومن هنا كيف لنا أن نفسر وأن نميز من البنية الكلية وموضوع الخطاب، وهل يوجد فرق جوهري بينهما أو أنّهما يشتركان في المفهوم نفسه، هذا ما تطرق إليه فن السبك، «فإنّ هناك تضاربا بين البنية الكلية وموضوع الخطاب، ما داما يهدفان إلى تمثيل دلالي لقضية ما أو لقضايا عديدة يطرحها النص، أو اختزال معنوي للخطاب».[3]

وتتسم البنية الكلية بمجموعة من السمات لعلى أهمها فيما يلي:

1- أنّها بنية دلالية محضة قد تتوفر على بنية كبرى أو أكثر.

2- تشترط البنية الكلية الالتزام بوحدة الموضوع.

3- تعين المتلقي في التعرف على موضوع النص.

4- كما أنّها تحقق أحد الشروط التي يقوم عليها النص، على اعتبار أنّ النص بنية.

---

[1] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 56- 57.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

5- تساهم البنية الكلية في الخروج من نطاق الجملة نحو النص باعتبار الجملة هي جزء من الأجزاء المكونة للنص.

6- تساهم في التصور الكلي للترابط النصي.

أ- البنية الكبرى: «وتسمى الفقرة أيضا، وهي تمثل الخطوط العريضة للنص أو القضايا الكبرى أو الأفكار العامة وهي بنية تجريدية كامنة تمثل منطق النص».[1]

«ويطبق فان ديك أربع قواعد إجرائية على الأبنية الكبرى بطريقة فعالة لاختصار النصوص الطويلة والقواعد: الحذف، والاختيار والتعميم، والتركيب، أو الإدماج».[2]

وبهذا يتضح أنّ البنية العليا تهتم بشكل النص والبنية الكبرى تهتم بمضمون النص.

ب- البنية الصغرى: هي عبارة عن جمل أو عبارات يطلق عليها المتتاليات، أو أجزاء النص التي تسهم في تشكيل النص، كما لها دور هام في تحقيق الترابط النصي ما يدل على الالتحام الواقع بين المكونات النصية، ولها عدة سمات خاصة بها نذكر منها ما يلي:

1- تعد أصغر وحدة نصية.

2- تلتحم هذه الأجزاء بمجموعة من الروابط كأدوات الربط، العطف، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة...

3- يعين القارئ على تجزيئ النص ما يساعده على التحليل والتقصي الدقيق.

4- كل ما كان تركيبها سليما كلما كان أداء النص للمعنى صحيحا.

ترتيب الخطاب:

هذا معيار آخر من معايير الانسجام الذي يستلزم في الترتيب الذي يقوم على مبادئ خاصة، لها الفضل في تسلسل الأفكار لغرض فهم النص وإدراك المعلومات التي تستهدف القارئ وسمها فان ديك «الترتيب العادي للواقع في الخطاب»[3]؛ بمعنى أن يكون هذا الترتيب

[1] سالم بن محمد المنظري، المرجع السابق، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 58.

[3] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 38.

ترتيبا منطقيا يمنح للنص المصداقية في سرد الأحداث «على أنّ مبدأ الترتيب ليس صارما إلى درجة استحالة تغيير الترتيب في متتالية ما، بل يحتمل أن يحدث التغيير ولكنه يكون مصحوبا بنتائج تجعل التأويل مختلفا من زاوية تداولية، ووسائل تغيير الترتيب متنوعة نكتفي بالإشارة إلى واحدة منها وهي إدخال ظرفي الزمان: «قبل» أو «بعده» أو «آنفا» على المتتالية».[1]

هذا يعني أنّ الترتيب ليس شرطا لازما، بل هناك تغيرات قد تطرأ على هذا الترتيب دون أن تتغير الدلالة، فغالبا ما يستعين الكاتب بهذا النوع كأن يتصدر حديثه عن الماضي يأتي بالتدرج حتى يصل إلى النهاية أو العكس؛ إي أن يطرح الأفكار من الخاص إلى العام أو من الجزء إلى الكل، أو حتى الاهتمامات والأولويات وغيرها.

«ويمكن أن نميز بين نوعين من الترتيب، أولهما حر والثاني مقيد، ويكون الترتيب حر إن لم يحدث فيه تغير؛ أي أثر دلالي أو تداولي، ويكون مقيد إن أحدث فيه التغير أحد هذين الأثرين، أو أدى إلى عدم انسجام الخطاب بعدما كان منسجما».[2]

ويقصد بالترتيب المقيد والترتيب الحر، ليس بوسعنا أن نغير الترتيب بمحض إرادتنا هناك التزامات ومبادئ من غير الممكن تجاوزها، لأنّ هذا التحويل قد يغير مجرى الدلالة إذ لم تحترم العلاقات التي تخضع لمبادئ معرفية.

«وهكذا يتضح أنّ الترتيب يقوم بدور أساسي في انسجام الخطاب، وكلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة محددة سلفا، كان الخطاب غير منسجم من حيث اغفاله للعلاقات سابقة الذكر؛ أي العام– الخاص».[3]

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، 38.

[2] المرجع نفسه، ص 38.

[3] المرجع نفسه، ص 40.

3- المماثلة والمشابهة:

يقوم مبدأ المماثلة بدور هام في تحقيق انسجام النص واتساقه لأنّه يساهم في استغلال المعارف والتجارب السابقة؛ أي إعادة إحيائها من جديد ويجعلها قيد الاستعمال وتطبيقها في نصوص مشابهة لها، بمعنى أنّه عند تحليل المتلقي لأي نص يقوم بعملية استرجاع تجاربه السابقة وتوظيفها في تحليل نصوص جديدة بالأحكام والمقاييس نفسها بغية خلق انسجامها.

ويوضح محمد مفتاح هذا الأمر بشكل واضح بقوله: «إنّ نصا ما إذا كانت خصائصه الذاتية هي: (+أ +ب +ج +د...)، ونصا آخر إذا كانت خصائصه الذاتية هي (+أ،ب،ج +د)، ونصا آخر إذا كانت خصائصه الذاتية هي: (+أ، +ج، +د...)، فإنّ العلاقة بينهما متماثلة، إذ لا تفرق بينهما إلاّ خاصية ذاتية واحدة هي: (+ب)، أما إذا كانت الخصائص الذاتية لنص ما (+أ، +ب، +ج...)، وكانت الخصائص الذاتية للآخر هي: (+ب +ص، +ك..) فإنّ العلاقة بينهما هي المشابهة»[1]، فبقوله يحاول أن يفسر العلاقات القائمة بين تحليل النصوص السابقة وما يشبهها في النصوص الجديدة، وذلك بمقارنته لها فلكل نص يحمل جنسا أدبيا خاصا به.

فهذا سلاح المتلقي في مواجهة التحديات من خلال فهمه وتأويله للنص بمجموعة من الوسائل، بمعنى أنّه «يمكن أن تكون التعاقدات مزداراة والتوقعات مشوشة، أتم ذلك عن قصد أو من أجل أثر أسلوبي، أو بشكل غير مقصود...وحين يحدث هذا يحصل تعطل مرحليا في الفهم والتأويل، ولكن قدرة الإنسان على التكيف مع المستجدات وخلق الأدوات المناسبة للمقاربة لا تتعطل أبدا».[2]

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 87.

[2] المرجع نفسه، ص 87.

فكلما كان المتلقي ذو اطلاع واسع كلما كان على دراية كاملة بكل المستجدات أو التوقعات التي تطرأ على هذا النص الجديد، دون أن يغفل على أي وحدة من وحداته.

4- مبدأ التأويل المحلي:

يتجلى ذلك من خلال قدرتنا على تأويل ما جاء في النص من مفردات تجمع بينها علاقات تجعلها منسجمة، ويرتبط بمجموعة من الاستراتيجيات التي يؤول بعضها بعضا، فنتمكن من معرفة موضوع النص والعلاقات التي تربط بين عناصره.

ويذكر محمد الخطابي أنّه يمكن اعتبار هذا المبدأ «تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق»[1]، فأثناء التأويل يكون المتلقي مجبورا على اعتماد بعض الأسس التي ينص عليها السياق، فيتعلق الأمر بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل المؤشرات أو حتى الأشخاص المحيل إليها، «إذ ليس من المعقول أن يكون التأويل لدى المستمع أكثر مما يستحقه السياق التفاعلي للخطاب»[2]، وبهذه الطريقة إذن ندرك أهمية التأويل المحلي الذي يشتمل على مبدأ (التأويل المحلي ومبدأ المشابهة) الذي نحقق به انسجام الخطاب.

5- مبدأ التغريض:

أقرر علم اللغة النصي مجموعة من المفاهيم، وذلك للحكم على نصية النص ومن بين المفاهيم التي تعمل على تحقيق الترابط والتماسك هو التغريض، ومفهوم التغريض يتعلق بمضمون الخطاب وبدايته أو عنوانه، فهي التي تعين المتلقي للولوج في عالم النص، النقطة التي يستهل بها المتكلم أو الكاتب نصه من أجل بناء انسجامه وتحقيق اتساقه.

فيتحكم هنا في تأويل وقراءة النص، فمنذ البداية يكون المتلقي عارفا بموضوع الخطاب أو الفكرة الشاملة التي يرمي إليها، ومن خلالها يبني عليها مفهوم دقيق أو بالأحرى نظرته حول هذا النص.

---

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 56.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 88.

«ولما كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية، فإنّ هذا التنظيم يعني الخطبة سيتحكم في تأويل الخطاب، بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه، وهكذا فإنّ عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه»[1]، ما نقصده من هذا الكلام بأنّ هذا التسلسل الحاصل بين محتويات النص فإنّه يفرض تنظيما خاصا يؤثر في عملية التأويل، فليس ما يبدأ به الكاتب كما يختم به، وإنما هي خطة تأتي تدريجيا فكرة فكرة إلى غاية الوصول إلى نهاية الحديث عن قضية ما يطرحها في صدر نصه هذا.

«كما أنّ الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تفيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية النص أيضا، بمعنى أنّنا نفترض أنّ كل جملة تشكل جزءا من توجيه متدرج متراكم يخبرنا كيفية إنشاء تمثيل منسجم».[2]

هناك مفهوم آخر يضاهي التغريض وهو انشاء المفهوم الدقيق الذي يراعى فيه كل المراحل التي يمر بها النص، إذ يعرّفه كرايمس بقوله: «كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة وكل خطاب حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية».[3]

البناء هو العلاقة الوطيدة بين أجزاء النص وبين عنوانه وبدايته وحتى فقراته، فكلها تعمل على انسجام النص، ولعلى من بين وسائل التغريض العنوان والجملة الأولى ونعني بها بداية النص، فإنّها رمزا يحيل إلى الفقرات القادمة واللاحقة، فأما عن العنوان فهو سيميائية دالة على محتوى النص بأسلوب موجز يقدم رمزا دلاليا ذو معاني عميقة يكشف عنها النص في ثناياه، ومن التعريفات السابقة نفهم أنّ للعنوان وظيفة استثنائية تربط بين النص ومحتواه، سواء كان واضحا أم ضمنيا أم كان يحتاج إلى التأويل والتنقيب في أعماق النص، فالقارئ حين يضع نصا بين يديه إلى مع وجود دوافع نفسية ذاتية، أو حاجة ماسة لتناول هذا النص

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 88.

[2] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 59.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

والعنوان هو من يستهوي القارئ قبل كل شيء، فهو الذي يعبر عن حاجته أو عن هدفه الذي يصبو إليه.

وعليه من وظائف العنوان نذكر منها ما يلي:

1- تحقيق الاتساق والانسجام.

2- وظيفة التغريض.

3- وظيفة بناء النص.

هي مكتسبات نتحصل عليها بجملة من التجارب التي تمنحنا الخبرة في مجال معين، فنتمكن من اقتناء المسائل على اختلاف أنواعها بسهولة وتطبيقها على نصوص جديدة مع استحضار المعلومات التي تخدم هذا الموضوع ومحاولة تحليله وتأويله.

فهذه العملية تتطلب كفاءة وذاكرة مليئة بالمعارف والمعلومات قصد توظيفها في وضعيات نصية وخطابية جديدة.

وهذه العملية لا تتم عشوائيا وإنما وفق تقنيات خاصة تضبط مجرى هذه العملية الذهنية، فعند معالجة القارئ لقضية ما لا يقوم باستحضار كل المعلومات التي بحوزته، وإنما يقوم بفرزها وترتيبها بحسب الموقف الذي هو بصدد تحليله؛ أي توظيف فقط ما يحتاجه من المعلومات المتراكمة في ذهنه حول ذلك الموضوع.

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ «تمثيلات المعرفة هذه تتسم بأنّها منظمة بطريقة ثابتة كوحدة تامة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة»[1]، يعد هذا الترتيب أمرا ضروريا لابد منه في حل الألغاز أو فك شفرات النص.

ويعتبر مينسكي «أنّ المعرفة الخلفية هي عبارة أطروبنيات ومعطيات ويقول عنها حين تواجه شخصا ما وضعية جديدة...فإنّه يختار من الذاكرة بنية تسمى إطار، وهو إطار متذكر للتكيف مع الواقع عن طريق تغيير التفاصيل حسب الضرورة»[2]؛ أي عند اختيار

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 62.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 90.

النماذج فإنّنا نستدعي فقط ما يتماشى مع واقعنا واحتياجاتنا الخاصة، كتوقعنا لبعض النتائج المتحصل عليها من خلال النصوص السابقة والمشابهة لها.

ومما سبق فإنّ المعرفة الخلفية في شكل مفاهيم ومعارف ومكتسبات وموارد تساهم كلها في انسجام النص واتساقه.

7- الأطر والمدونات:

كان لابد من الإشارة إلى هذه العمليات التي تمثل جانبا مهما في الذاكرة، فهي وسيلة أساسية لمواجهة نص من النصوص ولعلى من أبرز المجالات التي عنيت به: علم النص المعرفي والذكاء الاصطناعي من أجل معالجة الخطابات قصد فهمها وتأويلها.

فأما من وضع نظرية الأطر مينسكي الذي يرى بأنّ «معرفتنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطيات يسميها الأطر تمثل وضعيات جاهزة»[1]، ما يقصده بالأطر الخلفيات أو المعارف والمكتسبات التي تمثل أبوابا محجوزة في ذاكرة ولكل باب معلومات ومعطيات خاص به تستعمل حسب كل وضعية معرفية.

ومن ثم يعرّفها محمد مفتاح «بأنّها شبكة من العلاقات يكون مستواها النموذجي الأول مطابق للأحداث والثانية متعلقة بأوضاع نموذجية، وشبكة دنيا هي تحقيقات لتلك الشبكة، وبتعبير آخر فإنّ الأطر تتكون من عناصر ضرورية وعناصر اختيارية مالئة لتلك العناصر الضرورية المجردة»[2]، هذا التصنيف يحدث بمجرد تناول النصوص ومحاولة استرجاع مثيلتها من المعارف السابقة، بحيث يعتبرها البعض وسيلة لتذكير وإعادة دمجها من جديد.

ولكن هذا لا يعني بأنّ الأطر نظرية صحيحة مئة بالمئة وإنما فقد تواجهه صعوبة أثناء تصنيف هذه المعلومات، أو حتى عند استحضارها فقد ننسى تلك المعلومات أو تختلط علينا الأمور نظرا لتراكمها وشدة ترابطها أو تشابهها في العديد من المطارح، ولهذا

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 63.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 91.

فالخطابات التي من هذا النوع تعد «تذكيرا للذين يعلمون وتوجيها للذين لا يعلمون»[1]، ورغم هذه العراقيل التي قد تؤثر في أداء هذه العمليات إلاّ أنّ نظرية الأطر منحت القارئ مفاتيح الولوج إلى النص بعدة وسائل كان لها الفضل في ذلك.

أما عن المدونات فهي متوالية من الأحداث ذات تسلسل منطقي تفرضها أحكام نصية، من أجل وضعها وصفا دقيقا يمنح للنص وحدته وكليته.

ومن ثم «فالمدونات في الحقيقة هي متتالية ثابتة من الأحداث النموذجية التي تصنف وضعا؛ أي تتالي العلاقات الزمنية والمكانية وانتظامها»[2]؛ أي هي مساحة حرة متعددة الاهتمامات والمجالات يُعبر فيها عن أي موضوع وفي أي مجال، تكون على شكل حلقة منظمة تسري فيها الأحداث بانتظام إلى غاية الوصول إلى النهاية دون الشعور بأي خلل أو نقصان في سرد الأحداث.

وتستخدم هذه التقنية لإدراك القضايا والأحداث المتناولة في النص بغية دراسة خصائصها للوقوف على معانيها ومقاصدها.

[1] محمد الخطابي، المرجع السابق، ص 64.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق.

باعتبار النص كلا متماسكا تتحكم فيه مجموعة من الآليات التي تحقق النصية، بصفته كتلة مترابطة بفعل العلاقات النحوية التركيبية والدلالية.

فلا يمكننا أن نحكم على نصية النص دون تحليله والوقوف على مختلف الوسائل التي تساهم في خلقه، ولعلى من أهمها الاتساق والانسجام والتماسك الشكلي للنصوص.

فقد كان للاتساق دورا هاما في ترابط النص وذلك باستعمال أساليب الإحالة بأنواعها الثلاث الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والوصل والحذف وغيرها.

وكذا اعتماده على خاصية الانسجام التي يعبر بها عن تلاحم الوحدات والعناصر الدلالية المشكلة للنص بجملة من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص بعضها ببعض، ويصبح بذلك جسم واحد يحمل خصائص متنوعة يتميز بها عن غيره من النصوص.

ويتبين مما سبق أنّ التماسك من عوامل استقرار النص واستمراريته التي تتشكل بين العلاقات المتسقة بين المعيارين الاتساق والانسجام، فلا نستطيع دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر لكونها أساس تماسك النص وتلاحمه.

الفصل الثالث

آليات التماسك النصي

في سورة يوسف عليه السلام

الفصل الثالث: آليات التماسك النصي في سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول: آليات الترابط التركيبية.

المطلب الأول: بين يدي السورة.

إنّ القرآن الكريم بقصصه الرائعة يمثل مدرسة نقدية تحاول أن ترفع من شأن القصة في الإطار الفني، ذلك بعد أن تمثلت القصة القرآنية بما لها من أضواء وتمتعها بالتلاحم والسحر البياني وروعة الأسلوب الإعجازي القرآني.

سورة يوسف إحدى السور المكية نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة عام الحزن الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها، نزلت بعد سورة هود وعدد آياتها إحدى عشرة ومئة، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب من أولها إلى آخرها، وما لقاه من فتن ومحن ومصائب منذ نعومة أظافره حتى دخوله مرحلة الكهولة.

من خلال هذه السورة ترد قصة يوسف كاملة غير منقوصة، فهي وحدة موضوعية فريدة لم تتحقق بهذا القدر الكمي لآية قصة من قصص الأنبياء، «وهي القصة الطويلة الوحيدة التي جاءت في مكان واحد ولم تتكرر في مواضع أخرى».[1]

سورة يوسف سورة عظيمة وكريمة سميت بأحسن القصص لما تتضمنه من موعظة وحكمة، فهي سورة تأنس القلوب وتريحها فمن كان في كرب فقرأها فرج الله عن كربه وأزاحها عنه، لأنّها تمثل الواقع الذي يعيشه الإنسان في كل زمان ومكان، وبالأخص الإنسان المؤمن الملتزم بدينه وعقيدته، فهي قصة بكل ما تحمله من أفراح وأحزان، قصة الصراع الدائم بين الإنسان والشيطان، بين الحق والباطل، بين الخير والشر.

لذا كان لابد من الوقوف والتدبر أمام هذه السورة العظيمة لنستفيد مما فيها من العبر والحكم التي نصلح بها أنفسنا ومجتمعاتنا من تخطيط وتنظيم على كل المستويات.

[1] أحمد نوفل: سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1989، ص 9.

كما لا يخفى لنا أنّها تصور ملامح القصة بكل أبعادها في ترابط الأحداث وواقعيتها وحيوتها وتطبيقها لكل العناصر التي تقوم عليها القصة من تشويق وإثارة، ومدى تحقيقها للانسجام والتناسق مع قوة الإحكام الربط ليتضح لنا عظمة هذا الكتاب الخالد الأبدي ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]

الحكمة من سورة يوسف:

1- بيان حكمة الله تعالى فيما تتضمنه القصة.

2- بيان عدل الله تعالى.

3- ترغيب المؤمنين بالإيمان.

4- ما فيها من أدلة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

5- توطيد العلاقة بين الأب والابن.

6- أنّ الرؤية صالحة من الله عز وجل.

7- العدل بين الأبناء.

8-في قصة يوسف وإخوته عبرة وموعظة والنصر لمن اتقى.

9- العفة والأمانة مصدر الخير والبركة لمن اعتبر وتدبر.

[1] سورة هود الآية 1.

المطلب الثاني: الإحالة.

1- الضمائر: تحدثنا سابقا أنّ للضمائر أهمية كبيرة في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي لا يمكننا تصور أي نص بدونها، لأنّها هي المسؤولة عن الترابط الواقع بين أجزاء النص، من اختصار وإيجاز تحاشيا للإطناب في تكرار المسميات والجمل.

«ويعد الربط بالضمير بديلا لإعادة الذكر، أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار بل إنّ الضمير إذا اتصل فقد أضاف إلى الخفة والاختصار عنصرا ثالثا هو الاقتصار»[1]

ومما ينبغي التنويه إليه في هذه النقطة أنّ العناصر المحيلة أحيانا تكون غامضة أو مبهمة غير واضحة في سطور النص، مما يدفع بنا إلى اللجوء إلى اعتماد آليات أخرى تدلنا على المحال إليه؛ أي اللجوء إلى السياق لفك شفرات النص.

وبما أنّنا في صدد استخراج آليات التماسك النصي في سورة يوسف عليه السلام سنباشر في العملية مبدئيا بالوسائل التركيبية الإحالة بضمائر سنقف عند كل منها، ونحاول أن نعرض فيها نوع الإحالة وعلى من يعود هذا العنصر الإحالي على بعض النماذج التطبيقية من السورة.

- الضمائر المنفصلة التي تحيل إلى لفظ الجلالة ومن آياته ما يلي:

الآية الثالثة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2] يبين الله تعالى في هذه الآية أنّ أحسن الأخبار هي أخبار القرآن الكريم، فكان هذا دليلا قاطعا لبلاغة وبداعة موضوع السورة.

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق ص167.

[2] سورة يوسف الآية 03.

الآية أربعة والثلاثون: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه بحمايته من مكر النساء وكيدهن لتبرئ نفسها وتلقي التهمة على يوسف عليه السلام.

الآية الرابعة وستون: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] كيف أأمنكم عليه وسبق لي أن أمنتكم على يوسف لكنكم لم تحفظوا الأمانة.

الآية الثمانون: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[3] كيف لنا أنواجه أبينا ونصارحه بما حل بنا، كيف له أن يصدقنا ونحن أعدنا الكرة مرة ثانية، ماذا سنقول بشأن بن يمين ونحن قطعنا له عهدا أن يكون معنا في الحفظ والصون.

الآية الثالثة والثمانون: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[4] ماذا بشأن بن يمين ماذا فعلتم به أم أنّكم كدتم له مثل أخيه يوسف، أرجو من الله أن يعيدهم إلى حضني من جديد وكأنّ سيدنا يعقوب لا يزال على يقين بأنّ ابنه يوسف على قيد الحياة.

الآية الثانية والتسعون: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[5] بعد كل ما لقاه يوسف عليه السلام من عناء وعذاب جرّاء إخوته وكيدهم له، إلاّ أنّه قابلهم بعكس ما كانوا يصنعون بصفاء القلب المتسامح الغفور.

---

[1] سورة يوسف الآية 34.

[2] سورة يوسف الآية 64.

[3] سورة يوسف الآية 80.

[4] سورة يوسف الآية 83.

[5] سورة يوسف الآية 92.

الآية الثمانية والتسعون: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] وعدهم أن يستغفر لهم ربّهم على ما أتوه من أفعال شنيعة في حقه وفي حق ابيهم يعقوب عليه السلام.

وغيرها من الآيات التي تحيل إلى الله عز وجل وعظمته في تسيير الأمور الأحداث التي رسمها سبحانه وتعالى بإحكام شديد.

إنّ الملاحظ من هذه الآيات الكريمة هو الضمائر المتصلة التي تحيل إلى الله عز وجل التي تؤدي بدورها الربط بين النص ومنهج النص.

واختلفت الضمائر الوجودية من متكلم إلى الغائب وحسب الإحصائيات فالضمير الغائب هو الغالب على السورة، وهذا من شانه أن يدل على مسميات غائبة في النص

وأيضا كان لهذه عناصر الإحالة أنواع مختلفة منها المقامية ومنها النصية، ومثال ذلك في الضمير (نحن) ضمير المتكلم الذي يحيل على الله عز وجل، ونوع الإحالة هنا مقامية خارج النص تستنبط من السياق الذي جاءت عليه السورة الكريمة سورة يوسف عليه السلام، أما عن الضمائر الغائبة التي تمثلت في باقي الآيات فهي إحالة نصية قبلية تم الإشارة إليها في الآية الثالثة؛ أي إلى الإشارة إلى الله عز وجل.

1- الضمائر المنفصلة التي تحيل على سيدنا يعقوب عليه السلام ومن آياته ما يلي:

الآية السابعة عشر: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[2] بعد أن أمنهم أبيهم على يوسف جاؤوا بكذبة من صنعهم يختبئون ورائها فقط من أجل التخلص من أخيهم الصغير الضعيف الذي لا حول ولا قوة له.

فضمير المنفصل المخاطب **أنت** يحيل إلى يعقوب عليه السلام، ونوع الإحالة إحالة نصية قبلية.

[1] سورة يوسف الآية 98.

[2] سورة يوسف الآية 17.

- الضمائر المنفصلة التي تحيل على سيدنا يوسف عليه السلام ومن آياته ما يلي:

الآية الثالثة والعشرون: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1] أغرته امرأة العزيز وأمرته بالفاحشة وإن لم يفعل تطرده خارج بيتها وتحرمه من النعيم الذي هو فيه، فنجّاه ربه من هذه الفتنة التي أوقعته فيها واختار السجن على الإتيان بهذا الفعل الذي ليس من شيمه وخصاله.

الآية السادسة والعشرون: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[2] بعد أن أتى العزيز ودخل عليهما في وضع حرج، أسقطت التهم كلها على سيدنا يوسف عليه السلام لكنه لم يسكت على ذلك بل دافع على نفسه، وقال هي الفاعلة فحار العزيز في من يقول الصدق ومن عليه أن يصدق، إلاّ شهد طفل في المهد من أهلها وقال إذا تمزق القميص من الأمام فهو الكاذب وهي الصادقة.

الآية السابعة والعشرون: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾[3] رأى زوجها إلى قميص يوسف من الخلف فلاحظ أنّه ممزق فثبت صدق يوسف، وبان كيد زوجته لذا قال أنتم النساء كيدكن عظيم.

والضمائر المستوحاة من الآيات الثلاث ضمير الغائب **ه** الذي يعود على سيدنا يوسف عليه السلام، ونوع الإحالة هي إحالة نصية قبلية.

- الضمائر المنفصلة التي تحيل على إخوة يوسف عليه السلام:

الآية الثامنة: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[4] من هنا بدأت وسوست الشيطان أنّهم غير مرغبون على الرغم من قوتهم و صلابة

[1] سورة يوسف الآية 23.

[2] سورة يوسف الآية 26.

[3] سورة يوسف الآية 27.

[4] سورة يوسف الآية 08.

أبدانهم إلاّ أنّ أبيهم اختار يوسف الطفل الصغير هذه العقد التي جعلت منهم أشخاص لا رحمة فيهم واستوصوا بأخيهم شرا.

الآية الخامسة عشر: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[1] اتحد الإخوة على نفس الخطة بأن يجعلوه في عمق البئر، وهو طفل صغير لا يفقه شيء أي فعلة هذه.

الآية الثامنة والخمسون: ﴿ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[2] بعد الفراق الذي دام عشرون سنة لم يذكر إخوته ملامحه، لكنه عرفهم وأراد أن يذكرهم بمعصيتهم التي ارتكبوها في حقه.

في هذه الآيات الثلاث تحتوي على ثلاثة ضمائر، أولها الضمير **نحن، هم، هم،** كلها تعود على إخوة يوسف فهي إحالة نصية داخلية نوعها قبلية.

- الضمائر المنفصلة التي تحيل على العزيز وزوجته وأهل مصر:

الآية ستة والعشرون: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[3]

الآية سبعة والثلاثون: ﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[4] بعد أن فسر لهم حلم العزيز حذرهم من سنين القحط والجفاف، فإن لم تعملوا على تأويل رؤياي ستشهدونها لا محال.

الآية الأربعة والأربعون: ﴿ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾[5] فهذا الحلم الذي حلمت به ما هو إلاّ تخيلات لا صحة فيها وليس لها أي معنى.

---

[1] سورة يوسف الآية 15.

[2] سورة يوسف الآية 58.

[3] سورة يوسف الآية 26.

[4] سورة يوسف الآية 37.

[5] سورة يوسف الآية 44.

الآية الحادي والخمسون: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] اعتراف امرأة العزيز بخطئها الذي بسببها زجّ يوسف في السجن لمدة سبع سنوات.

ففي هذه الآيات الكريمة احتوت الضمائر الغائبة وضمائر المتكلم، والضمير **نحن، هم**، تحيل على أهل مصر وسادتها، أما الضمير المتكلم **أنا** يحيل على امرأة العزيز، فهي عناصر إحالية نصية داخلية.

- الضمير المنفصل الذي يحيل على أحد السجناء:

الآية الخامسة والأربعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[2] تذكر أحد السجناء الرسالة التي أوصاه بها يوسف عليه السلام، إذ قال له أذكرني عند سيدك فقال إنّي أعلم من يفسر الأحلام فأرسلون عنده.

الضمير المتكلم أنا يحيل إلى أحد السجناء الناجي، فهنا نوع الإحالة نصية قبل سبق ذكرها في الآيات السابقة.

2- الضمائر المتصلة:

الآية الثانية: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] أنزله الله سبحانه وتعالى باللغة العربية، وهي أرقى وأحسن لغة على وجه الأرض أنزلها بلغتهم ليسهل عليهم تأويلها والتدبر فيها.

واحتوت هذه الآية الكريمة على العناصر الإحالية التالية: الإحالة بضمير المتكلم **(نا)** وهي إحالة مقامية خارجية تعود على الله سبحانه وتعالى.

[1] سورة يوسف الآية 51.

[2] سورة يوسف الآية 45.

[3] سورة يوسف الآية 02.

وضمير الغائب **(الهاء)** في أنزلناهِ أحالت على القرآن الكريم، وضمير المخاطب **(كم)** في لعلكم إحالة مقامية تحيل على القوم المؤمنين.

الآية الثالثة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1] هذه الآية تولت لتنبه وتلفت النظر عن أحسن القصص، لما فيها من عبرة ومعاني وحكمة لأولي الألباب وفيها الإحالات التالية:

الضمير المخاطب **الكاف** في عليك وإليك إحالة تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحالة مقامية فهو من تلقى هذا الوحي؛ أي نزل عليه القرآن الكريم.

أما عن الضمائر الغائبة **(الهاء)** في قبله تحيل على القرآن الكريم، وهي إحالة نصية داخلية.

الآية الرابعة: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[2] رواية يوسف رؤياه على أبيه فهي بشرى لنيله مكانة عالية اصطفاه الله بها، إحالة الآية الكريمة على يوسف في قوله (لأبيه) في الضمير الغائب **الهاء وهم** في رأيتهم، فهي إحالة على الشمس والقمر وهي إحالة نصية قبلية، أما عن ضمائر المتكلم في إنّي ورأيت إحالة على يوسف عليه السلام، فهو من وقعت عليه الرؤية ونوع الإحالة إحالة نصية داخلية.

الآية العاشرة: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[3] تعني هذه الآية عندما اتفق الإخوة على التخلص من يوسف اقترح أحد الإخوة بإبعاد يوسف عن أبيه بدل من قتله وارتكاب جريمة في حقه.

[1] سورة يوسف الآية 03.

[2] سورة يوسف الآية 04.

[3] سورة يوسف الآية 10.

تناولت هذه الآية الإحالات التالية: الإحالة بالضمائر الغائبة في قوله **منهم** فهي تحيل على إخوة يوسف، أما عن **ألقوه** فهي إحالة تدل على يوسف عليه السلام، وفي **يلتقطه** تحيل على التجار فنوع الإحالة إحالة نصية بعدية.

الآية الحادي والعشرون: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

الضمائر الغائبة في هذه الآية الكريمة في **اشتراه** فهي تحيل على عزيز مصر، أما عن الإحالة في **مثواه** و**نتخذه** و**نعلّمه** و**أمره** تدل على سيدنا يوسف عليه السلام.

وعن ضمائر المتكلم **(نا)** في **ينفعنا** فهي تحيل على العزيز وزوجته، والضمير **نا** في **مكنا** تحيل على الله عز وجل فتنوعت الإحالة من نصية إلى مقامية في هذه الآية.

- الضمائر المستترة:

الآية الثلاثون: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2] تتحدث هذه الآية عن نساء مصر ومدار بينهما من أخبار على زوجة العزيز وفعلتها بيوسف، إذ تحرشت به وأرادت أن تنفرد معه.

الضمير المستتر في **لنراها** العائد على نساء مصر فهي إحالة نصية بعدية.

الآية الستة والثمانون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3]

الضمير المستتر في **أشكو** تحيل على سيدنا يعقوب عليه السلام.

الآية الثانية والعشرون: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[4]

الضمير المستتر في **بلغ** يحيل على يوسف عليه السلام.

---

[1] سورة يوسف الآية 21.

[2] سورة يوسف الآية 30.

[3] سورة يوسف الآية 86.

[4] سورة يوسف الآية 22.

2- أسماء الإشارة: الإحالة بالإشارة في سورة يوسف عليه السلام فهي تمثل في مجموعها عشرون موضعا في السورة، ومعظم المواضع جاءت بـ **(ذلك)** معادا خمسة مواضع بـ **(هذا)**، وموضع واحد فقط وظفت فيه **(تلك)** و**(هذه)** ومن نماذجها ما يلي:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1] في هذه الآية **تلك** تحيل إلى سور القرآن الكريم، ونوعها إحالة نصية بعدية.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[2] **هذا** تحيل على الأحداث التي قامت بها امرأة العزيز.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[3] اسم الإشارة **ذلك** يحيل على المضمون، وهي إحالة نصية قبلية.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] اسم الإشارة **هذه** يحيل إلى الدعوة إلى الله تعالى، ونوعها إحالة مقامية.

3- أدوات المقارنة: وهي عناصر التطابق والتشابه والاختلاف، وتمثل عنصر التطابق بين الآية الأولى والآية الأخيرة، فقد تضمن قوله تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[5] ومطابقتها مع الآية الأخيرة، الذي يقول فيها الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6] فالآيتين تشتركان في معنى واحد، فكليهما تحدثت عن كتاب الله المبين المفصل الشامل لأحكام العقيدة ذو عبرة وحكمة ورحمة للمؤمنين.

وهناك الكثير من مواضع التطابق في السورة لا يسعنا ذكر كلها.

---

[1] سورة يوسف الآية 01.

[2] سورة يوسف الآية 29.

[3] سورة يوسف الآية 52.

[4] سورة يوسف الآية 108.

[5] سورة يوسف الآية 01.

[6] سورة يوسف الآية 111.

ونموذجا أخر تمثل فيه وجه الاختلاف في الآية الكريمة التالية:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[1]

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾[2]

فالآية الأولى هي عكس الآية الثانية، فهذا التباين بين النصوص يحقق التماسك بأسلوب يرسخ الأفكار والمفاهيم.

4- العطف: على الرغم من أنّ التوابع جميعا تسهم في التماسك، لكن في مقامنا هذا نحاول أن نعرض العطف وفاعليته في تماسك الآيات في سورة يوسف عليه السلام.

﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[3]

عطفت (اطرحوه) على (اقتلوا) بـ أو.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[4]

عطفت (ألقوه) على (تقتلوا) بالواو.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[5]

عطفت (يلعب) على (يرتع) بالواو.

وظف العطف للربط بين الأحداث التي تصورها الآيات الكريمة السابقة.

5- الحذف: ومن نماذجه في السورة ما يلي:

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾[6]

---

[1] سورة يوسف الآية 26.

[2] سورة يوسف الآية 27.

[3] سورة يوسف الآية 09.

[4] سورة يوسف الآية 10.

[5] سورة يوسف الآية 12.

[6] سورة يوسف الآية 60.

جملة فلا كيل لكم: «الفاء رابطة لجواب الشرط، حرف مبني على الفتح، لا: نافية للجنس، حرف مبني على السكون، كيل: اسم لا النافية للجنس، مبني على الفتح، كم: ضمير متصل مبني، في محل جر باللام والجار المجرور متعلقان بخبر محذوف للا النافية»[1] وتقدير لا كيل موجود لكم.

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[2] وتقديرها اسأل أهل القرية التي كنا فيها، وهذا النوع من الحذف نوع من أنواع المجاز.

ما نستنتجه من هذه الظاهرة اللغوية التي يتحقق بها الإيجاز والاختصار في الخطاب، فكل ما كان الخطاب مختصر كان مؤديا للمعنى، وكلما أسهب المخاطب في الإعادة والتكرار كان الخطاب مملا وغير متجدد فيه الإطناب والحشو.

[1] عبد القادر أحمد عبد القادر: إعراب سورة يوسف، مكتبة السندس، ط1، 1989م، ص 126.

[2] سورة يوسف الآية 82.

المبحث الثاني: آليات الترابط المعجمية.

1- التكرار: ولبيان دور التكرار في تماسك النص القرآني، نستشهد ببعض الآيات في سورة يوسف عليه السلام.

تكرر الفعل قال في العديد من آيات السورة الكريمة ولعلى من بينها الآية 5، 10، 11، 13، 14، 17 وغيرها من الآيات، على اعتبار هذا فعل يتطلب مخاطِب ومخاطَب لأنّها عملية حوارية بين مخاطبين، من خلال هذا الفعل (قال) تدور الأحداث بين الشخصيات بطريقة سلسلة تتم عليها السورة من بدايتها إلى آخرها ومن أمثلتها:

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[1]

والتكرار اللفظي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾[2]

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[3]

في الآيتين التكرار لفظي في قميصه قد من دبر، وكان غرض هذا التكرار والتأكيد وتوضيح على أنّ سيدنا يوسف بريء من التهم التي وجهتها له امرأة العزيز.

وأيضا التكرار الجملي في الآية 43 و46 في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[4] وتكررت في الآية 46 والهدف منها هو الأهمية البالغة لهذا الحلم الذي ربط به الملك مستقبله ومستقبل بلاده، لذا حرص على تفسيره ومعرفة الرسالة الموجهة إليه.

وأيضا تجسدت ظاهرة التكرار في الآيتين 48 و49 في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[5] وتكررت أيضا (ثم يأتي من بعد

[1] سورة يوسف الآية 13.

[2] سورة يوسف الآية 27.

[3] سورة يوسف الآية 28.

[4] سورة يوسف الآية 43.

[5] سورة يوسف الآية 48.

ذلك) في الآية 49، وهي دلالة لضرورة اتباع واعتماد ما جاءت به الرؤية قبل أن يحدث ما لم يتوقعه صاحب الحلم نفسه؛ الحذر من السنين القادمة من القحط والجوع والحرمان.

وفي السورة نماذج كثيرة وعديدة ارتأينا أن نأخذ منها هذه النماذج التي تسعى فيها بروز هذه الظاهرة والوقوف عند أهدافها.

2- التضام: ومن نماذجه في السورة الكريمة ما يلي:

سنتناول هذه الآلية من خلال مجموع الآيات من 1 إلى 27.

الحافظون ⇦الغافلون/ الصادقين ⇦الكاذبين/ الظالمون ⇦المحسنون/ قبله ⇦ بعده.

عليم = حكيم/ يعملون = يصنعون/ أحسن = أكرمي/ يفلح = ينفعنا.

هذه العلاقة المترابطة بين الألفاظ سواء بالترادف أو التضاد، من شأنها أن تحقق التماسك في النص بأسلوب يشجع القارئ على الوقوف على هذه الانعكاسات، التي تحبب فيه البحث والاكتشاف عن معالم هذا النص وعن معانيه الخفية.

نحمد الله على هذه الفرصة القيمة التي أتيحت لنا لندرك بها ما تقدمت به هذه السورة الكريمة من دروس تاريخية وأدبية وحضارية، منظومة تربوية بامتياز تستحق أن تأخذ مكانها في المناهج التربوية، لما تحمله من إعجاز، وفصاحة، وإيجاز وأسلوب بياني بديع، ولما تحتويه من معاني جامعة وشاملة للعلوم والمعارف والغيبيات، وهذا هو هدفي الذي أصبو إليه، محاولة الوقوف على خصائصها هذه ومميزاتها، فهي قصة من أحسن القصص التي تناولت هذا الفن القصصي الراقي، بحيث صورت لنا كل الأحداث وغرائب الأخبار بتركيبة منسجمة ومتسقة، تتبهر بكيفية خلقها وبنائها فهي مترابطة متماسكة من بدايتها إلى نهايتها، على اعتبار أنّها قصة لم تتكرر في سور القرآن الكريم بل ظلّت في بنائها الأصلي في السورة نفسها سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: آليات الترابط الدلالية.

1- المناسبة:

علم المناسبة هو علم يختص بوصف العلاقات القائمة بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات في السورة الواحدة، فهو من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، الأمر الذي يدفع بنا إلى تذوق النظام القرآني وبيانه المعجز، فيقول الإمام البقاعي في تفسيره لنظم السورة: «وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز طريقين، أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب»[1]؛ ما يعني أنّ العرب الفصحاء كان لهم الفضل في تأمل القرآن الكريم كلمة كلمة وآية آية، وسورة سورة، بغية الوقوف على النقائص أو الثغرات في صلب القرآن الكريم، لكنّهم عجزوا عن ذلك وانبهروا في حسن نظمه وسبكه.

فتغيرت وجهة نظرهم إلى القرآن وحاولوا يأتوه من حيث هو بنية محبوكة تركيبيا ودلاليا بأسلوب خارق للعادة معجز لم يسبق له مثيل.

«يقصد بالمناسبة ورود القرآن الكريم بالكيفية التي تحقق ارتباط اللاحق بالسابق، وهناك تداخل بين المناسبة وأسباب النزول، ويمكن التفريق بينهما من حيث إنّ علم أسباب النزول يربط الآية أو مجموعة من الآيات سياقها التاريخي، أما علم المناسبة بين الآيات والسور فيتجاوز ذلك إلى أجزاء النص، ليبحث في أوجه الترابط بين الآيات والسور في الترتيب الحالي للنص، وهو ما يطلق عليه ترتيب التلاوة في مقابل ترتيب التنزيل»[2]

هكذا تتجسد العلاقات المتشابكة أو ذات الصلة بالعلوم الإنسانية الأخرى، وفي صدد حديثنا هذا نلاحظ أنّ للمناسبة دور فعال في الكشف عن سر نظمه وبديع حبكته؛ أي أنّها

[1] ابتسام عمر العمودي: المختارات من المناسبات بين السور والآيات، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ط1، 2015، ص 11.

[2] خليل بن ياسر البطاشي، المرجع السابق، ص 214.

آلية من آليات التماسك النصي، على اعتبار أنّها علم يختص بالعلاقات الملفوظة والملحوظة معا.

أما عن قضية البحث في تماسك النص القرآني وترابط أجزائه هي مجرد محاولة لتسليط الضوء على الوسائل المحققة للتماسك، هذا ما نسعى إليه من خلال بحثنا هذا في التركيز على المناسبة والطريقة التي ينسجم بها، فيقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «المناسبة علم حسن لكن يشترط فيه حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره»[1]

وللمناسبة أنواع تناولها المفسرون والباحثون في علوم القرآن على النحو التالي:

1- المناسبة بين عدة سور في القرآن الكريم.

2- المناسبة على مستوى السورة المفردة.

3- المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها.

4- مناسبة الآيات في أكثر من سورة.[2]

بما أنّنا نتوجه بدراستنا هذه إلى رصد الآليات التي تتحكم في التماسك النصي في سورة يوسف عليه السلام، فإنّنا نختص بالنوع الثاني (المناسبة على مستوى السورة المفردة) بتطبيقها على نماذج مختلفة تصور مواطنها على النحو التالي:

1- العلاقة بين مضمون السورة وعنوانها.

2- العلاقة بين العنوان والأحداث المذكورة فيها.

3- العلاقة بين الموضوع الرئيسي وأسباب النزول.

4- العلاقة بين مقدمة السورة وخاتمتها.

5- العلاقة بين مكونات المضمون نفسه.

[1] ابتسام عمر العمودي، المرجع السابق، ص 11.

[2] ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، المرجع السابق، ص 216.

6- المناسبة بين الفواصل.[1]

1- العلاقة بين مضمون السورة وعنوانها:

إنّ للعنوان أهمية كبيرة في الدراسات السيمائية فهو علامة لغوية تغري القارئ وتشده إليها، إذ أصبح العنوان في النص الحديث ضرورة ملحة ومطلبا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في إنتاج النصوص، لذلك خصصوا له عناية فائقة، فكان الكاتب قبل أن يباشر في الكتابة عليه يجتهد في اختيار العنوان المناسب الذي تتوفر فيه عدة شروط، من بينها أن يكون مثيرا ومشوقا، فيستطيع القارئ من خلاله الدخول إلى عالم النص بحثا عن الإجابات لتلك التساؤلات التي طرحها العنوان بطريقة غير مباشرة.

«فالعنوان يمثل نقطة الانطلاق إلى النص وتأويله، لأنّه يوجه قراءة للنص دلاليا، فهو يحدد الإطار المعجمي الذي يدور النص في فلكه»[2]

إذن فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: لما سميت سورة يوسف بهذا الاسم؟ وما العلاقة بين اسمها ومضمونها؟

تسمية السور لها دلالة على السورة وارتباطها بمضمونها، فإنّ لكل سورة اسم خاص بها يميزها عن غيرها.

اسم سورة يوسف ومناسبتها:

«اسمها سورة يوسف لا يعرف لها اسم خلافها، وبه سماها جماعة من الصحابة، وهذه السورة محورها قصة يوسف عليه السلام في أخص سور القرآن به، وهو أخص أنبياء الله بها، بل أخص مذكور فيها، فناسب أن تسمى باسمه»[3]

---

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 217.

[2] المرجع نفسه، ص 218.

[3] ناصر بن سليمان العمر: تدبر سورة يوسف، تهذيب آيات للسائلين، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، 2015، ص 9.

«فوجه تسميتها طاهر لأنّها قصّت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها إلاّ في سورة الأنعام وغافر».[1]

نجد أنّ المناسبة بين اسم السورة ومضمونها واضح لا يحتاج إلى عناء كثير، من خلال ذكر موقف وقصة يوسف عليه السلام، وهي من أحسن القصص لما تحمله من وقائع تحكي لنا الحقائق كما هي صادقة، تدعونا إلى الإيمان والصدق والصبر والصفح والإحسان.

وتحدثنا على أنّ للصبر عاقبة محمودة، فإذا أحب الله قوما ابتلاهم، فمن صبر نال ومن سخط سخط الله عليه.

هذا مع ملاحظة أنّ هذه القصة تقدم درسا مثاليا عن المثل الإنساني الكامل في العفة والصيانة والأمانة كونها قصة ذات تأثير في حياة الأمم، فمن عمل بها فيها مقومات الفوز والنجاح.

2- العلاقة بين العنوان وأحداث ذكرت في السورة:

دار اسم يوسف خمس وعشرون مرة بنفس السورة، ولعلى السبب في جمع أسمائه وتحديدها في سورة واحدة، الأحداث التي عاشها سيدنا يوسف عليه السلام كلها جرت في «مصر»، وكانت مهمته واختصاصه الاهتمام بشؤون الإدارة والتخزين، وهذا لا دليل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[2]

وعليه فإنّ بيت العزيز هو البيت الحكم والسياسة وعلم لشؤون البلاد والعباد، ويوسف عليه السلام على دراية كاملة بكل واجباته ومهماته، عندما قال: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3]

[1] أحمد نوفل، المرجع السابق، ص 22.

[2] سورة يوسف الآية 54.

[3] سورة يوسف الآية 55.

فكان الملك على علم بأنّه صديق أمين في حفظه للعهد مع عزيز مصر، فهو لم يخنه في عرضه وكان ذو علم وموهبة في تسيير الأمور على اختلافها، وهذا إلاّ سببا في قبول الملك لطلبه؛ أي العناية بالخزائن ورعايتها بمسؤوليته الكاملة.

وقلنا سابقا أنّ ذكر يوسف عليه السلام في متن السورة بهذا اللفظ خمس وعشرون مرة، سنذكر أمثلة على ذلك في الآيات الآتية:

1. ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1] وهذه الآية الكريمة تفسر رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام، فإنّ الرؤيا المنامية إذا كانت للأنبياء إلاّ ولها وحي صادق موافق للواقع، وهذا ما اشتملت عليه سورة يوسف في ثلاثة مواضع من الرؤى وجاءت على النحو التالي:

أ- رؤيا يوسف عليه السلام.

ب- رؤيا السجناء وكل واحد منهما رأى رؤيا غير الذي رآها صاحبه، لقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

جـ- رؤيا الملك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[3]

ففي هذه الآيات الكريمة أهمية بالغة لهذه الرؤى ما تصوره من حقائق، أولها رؤيا يوسف عليه السلام فهي تدل على المكانة التي اصطفاه بها الله عز وجل منذ صغره حتى بلوغه بمدى كرمه وعطائه، فاختاره كما اختار أباه اسحاق وجدّه إبراهيم عليه السلام من قبل، قال الإمام أحمد لقوله صلى الله عليه وسلم قال: «الكريم، ابن الكريم، يوسف بن

[1] سورة يوسف الآية 04.

[2] سورة يوسف الآية 36.

[3] سورة يوسف الآية 43.

يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم»[1] وهذه الرؤيا هي السبب في نجاته وعلوه فيما بعد، لأنّه كان من مفسر الرؤى والأحلام.

2. ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[2]

«يقول الله تعالى في قصة يوسف مع إخوته آيات؛ أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنّه خبر عجيب يستحق أن يستخبر عنه»[3]؛ أي أنّ قصة يوسف وإخوته هي عبرة ودليل على قدرة الله تعالى وحكمته، فمن يسال عن قصتهم ويرغب في معرفتها والتدبر فيها.

3. ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[4]

أقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيد عن نظر أبيكم، بدل من قتله وأخذ إثمه وتكونوا مستغفرين له بعد ذنبكم هذا الذي اقترفتموه في حقه.

يتضح من خلال هذه الآيات الترابط الدلالي بين الآيات السابقة وما تحويه من أحداث، فالآيات جميعها على اختلاف مواضعها تحمل دلالة العفة والابتلاء، الصبر والنصر لمن اتقى ربّه.

3- العلاقة بين موضوع السورة الرئيسي وأسباب النزول:

سنوضح أسباب النزول في بعض الآيات من سورة يوسف ونعطي دلالتها ونعلق عليها بعد ذلك، يروي المفسرون في تفاسيرهم أسباب لنزول السور الكريمة، ولعلى من بين وجهة النظر هذه «أن نقرأ من اليهود أرسلوا مشركي مكة ليمتحنوا الرسول صلى الله عليه

[1] للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، 701-774هـ، ص 975.

[2] سورة يوسف الآية 07.

[3] للحافظ ابن الفداد إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، المرجع السابق، ص 977.

[4] سورة يوسف الآية 09.

وسلم، فقالوا: سلوه عن نبي من أنبياء الله خرج من أرض الشام إلى أرض مصر؟ سلوه عنه وعن أخباره»[1]

وهذا الدليل في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[2]

أي أنّ ما حدث ليوسف من كيد وحسد وغيض هن إخوته، أقرب الناس إليه كان عبرة ودليل وبرهان لمن سأل عن قصتهم.

ونزلت هذه الآية لغاية الإجابة عن السائلين فهذه السورة الكريمة جاءت مفصلة تحكي قصة يوسف عليه السلام من أولها إلى آخرها، فهي تجيب على جميع الأسئلة وعن الاستفهامات التي تخص هذا النبي عليه أفضل السلام.

وفي رواية أخرى أنّ رجل فارق ولده فأصيب بالعمى من شدة البكاء والحزن، مثل ما حدث مع سيدنا يعقوب عليه السلام، فنزلت هذه الآيات لمواساة جروحه وإعطائه الحكمة من كل بلاء الذي يصيب به الله المؤمنين، فهو في نهاية ما هو إلاّ فرج وسعادة غير متوقعة، ويقال أنّها نزلت بعد سورة هود في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، حين توالت الشدائد عليه وعلى المؤمنين بعد فقدانه لعمه وزوجته، نزلت بين عام الحزن والعقبة الأولى.

وفي رواية أخرى أراد الصحابة أن يقض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أخبار الماضي ليتسلوا وليخففوا عن أنفسهم من ما عاشوه من تكذيب وتعذيب من أهل قريش[3]، لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[4] وأيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5]؛ أي

[1] أحمد نوفل، المرجع السابق، ص 26.

[2] سورة يوسف الآية 07.

[3] أحمد نوفل، المرجع السابق، ص 26- 27.

[4] سورة يوسف الآية 03.

[5] سورة يوسف الآية 02.

الواضح الجلي الذي يفصح عن الأنبياء المبهمة ويفسرها ويبينها، فلهذا أنزل الكتاب بأشرف اللغات؛ أي أنزله باللغة العربية وهي أرقى وأحسن لغة على وجه الأرض.

وأيضا تجلت أسباب النزول في الآية الكريمة: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1] ففي هذه الآية التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه السلام، وإنما ليبين عظمة هذا الكتاب المعجز في بيانه وبراهنه الواضح في معانيه، فالحرام بيّن والحلال بيّن ومن اهتدى واتقى جزاءه المرتبة العليا.

يتضح من خلال الآيات السابقة التعالق بين دلالات الأحداث مع أسباب نزولها التي تدعو إلى الامتثال لسيدنا يوسف، والصبر على المحن والمصائب إلى أن يحن الفرج من عند الله سبحانه وتعالى.

4- المناسبة بين مقدمة السورة وخاتمتها:

في الكثير من الأحيان تكون هناك علاقة بين بدايات السور ونهايتها، فهي غالبا ما تكون إجابة عن القضية التي طرحت في بداية السورة وأن تكون النهاية عبارة عن تمهيد لدخول السورة التي تليها، فهي متناغمة ومنسجمة مع بعضها البعض لا وجود لأي تنافر في ما بين السورة، «وحينئذ يأتي النص بخاتمة تذكر بمطلعه، وذلك قد يكون بتكرار اللفظ والمعنى المتحقق في مطلع النص، أو بتكرار المعنى دون اللفظ أو الإتيان بجملة تفسر المطلع»[2]

مقدمة السورة هي قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[3]

أما خاتمتها فهي قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]

---

[1] سورة يوسف الآية 01.

[2] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 221.

[3] سورة يوسف الآية 01.

[4] سورة يوسف الآية 111.

إذن فإنّ افتتاحية السورة على ذكر الكتاب وآياته، دليل على ألفاظه المكتوبة المصفوفة حسا ومعنى مكانه القلب والصدر، ومن إعجازه الإبانة والعدل والصدق والأمانة والوفاء، وفي بداية السورة وخاتمتها برهان على نعم الله التي أكرمنا الله بها.

كما لا ننسى توافق المطلع والخاتمة معا، فقد ابتدأت بحلم وانتهت بتحقيق ذلك الحلم، وهذا إلا دليل على تناسق الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، فهذه الخاتمة كانت واقعية دينية صادقة.

إذن فالمناسبة واضحة بين المقدمة التي بدأت بالحديث عن الكتاب البين الواضح المعجز في بيانه ونظمه؛ أي الحديث عن القرآن الكريم، فختم به أيضا كونه عبرة وحديثا ذو يقين وأنّه قرآن مفصل فيه كل شيء من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه تهدى به القلوب والنفوس لقوم يؤمنون.

5- المناسبة بين مكونات المضمون:

وهي كثيرة منها ما يكون على مستوى الآية الواحدة أو أكثر من آية في ترتيب الأمور المذكورة في داخلها؛ أي أنّ أحداث قصة يوسف مرتبة ومنظمة بأسلوب فد فريدة في ألفاظها وتعبيرها وأدائها.

ومن نماذج ذلك ما يلي: فمثال الآيات التي تتحدث عن المؤامرة التي خطط لها الإخوة للتخلص من يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[1]

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[3]

[1] سورة يوسف الآية 11.

[2] سورة يوسف الآية 12.

[3] سورة يوسف الآية 13.

وإذا تأملنا في أحداث هذه القصة رأيناها تسير سيرا طبيعيا وفقا للحياة التي عاشها يوسف عليه السلام، بداية اتفقوا على بغضه لأنّه كان أحب إلى أبيهم منهم، ودبروا له مكيدة ينفردوا بأبيهم وبمحبته إلا أن وصلوا إلى التخلص منه.

المناسبة بين الفواصل:

الفاصلة هي الحرف الأخير في الكلمة الأخيرة من الآية، مثلا القافية في الشعر أو حرف الراوي «وهي نهاية كل آية، وتأتي في النهاية لتحقق للنص جانبا إيقاعيا جماليا لا يخطئه الذوق السليم؛ لأنّنا مهما يكن من شيء نحس أنّها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية».[1]

وفواصل آيات سورة يوسف تنحصر في أربعة أحرف فقط هي: ت، م، ر، ل، أما عن الحرف الغالب في السورة هو النون، أكثر الحروف دورانا في فواصل الآيات، فهو يعتبر من أغنى الحروف العربية في الإيقاع والموسيقى.

ومن بين النماذج الممثلة له ما يلي:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[2]

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[4]

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[5]

---

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 223.

[2] سورة يوسف الآية 01.

[3] سورة يوسف الآية 02.

[4] سورة يوسف الآية 03.

[5] سورة يوسف الآية 04.

في هذه الآيات تناسق في الفواصل يضفي رابطا إيقاعيا له أثر كبير في ترابط أجزائه ومكوناته، فإنّك إذ تقرأ سورة يوسف عليه السلام تشعر بموسيقى عذبة ترافقك أثناء القراءة، والتدبر فيها على يقين بما تحمله من دلائل لعظمة الله عز وجل.

وهكذا فإنّ المناسبة بين الآيات علم يختص بعلاقات الترابط النصية التركيبية المتحققة في النص القرآني، فهو ذو مؤهلات لغوية وتركيبية خارقة للعادة لا يمكن الإتيان بمثلها بأي شكل من الأشكال.

موضوع الخطاب: هو المحور الذي تدور حوله القضية أو المسألة التي يتناولها هذا النص، «فإنّ فان ديك يثير قضية أخرى حول مفهوم الموضوع، إذ يطرح سؤالا مفاده: هل يمكن للنص أو الخطاب الواحد أكثر من موضوع؟»[1]؛ بمعنى أنّه لا يحمل موضوع واحد في داخله، وإنما قد يتعدد إلى مواضيع مختلفة لها علاقة بموضوع النص الكلي، ويتم تحديد المواضيع المتناولة بعملية تقسيم النص إلى فقرات منتظمة تمكننا من معرفة جل المواضيع التي تطرق إليها النص، بحيث نتمكن من تحليله وتفسيره بدقة

سنتناول في سورة يوسف الاستراتيجيات التي يتم من خلالها الكشف عن موضوع الخطاب، وهي على ثلاثة خطوات:

1- تحديد الإطار العام للموضوع.

2- تحديد المشاركين في الخطاب.

3- أخذ عينات من خطابهم وتحليلها وإثبات مدى ارتباطها بالإطار العام.[2]

1- البنية الكبرى للموضوع تتمثل في الآتي:

- دلائل قدرة الله عز وجل في كتابه العظيم ذو الشأن الرفيع.
- أحسن القصص.
- يوسف والرؤيا.

[1] خليل بن ياسر الباطشي، المرجع السابق، ص 225.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 226.

- كل ذي نعمة محسود.
- غيرة أخوة يوسف ومكرهم.
- مؤامرة للخلاص من يوسف.
- نجاة يوسف من غيابة الجب.
- يوسف في بيت العزيز.
- محنة الشهوة والإغراء.
- مكر النساء وكيدهن.
- يوسف في محنة السجن.
- الإعلان ببراءة يوسف عليه السلام وخروجه من السجن.
- العز وعلو المكانة بعد المحنة والابتلاء.
- لقاء يوسف بإخوته.
- حيلة يوسف عليه السلام بضم أخيه إليه.
- مصارحة يوسف عليه السلام لإخوته بما فعلوه معه.
- لقاء يوسف لأبويه وتحقق الرؤيا.
- التأمل والاعتبار لكتاب الله عز وجل.

2- المشاركين في الخطاب:

- **الطرف الأول:** الخطاب الرباني.
- **الطرف الثاني:** النبي صلى الله عليه وسلم.
- **الطرف الثالث:** يوسف عليه السلام.
- **الطرف الرابع:** يعقوب عليه السلام.
- **الطرف الخامس:** إخوة يوسف عليه السلام.
- **الطرف السادس:** التجار.

- **الطرف السابع:** العزيز.
- **الطرف الثامن:** امرأة العزيز.
- **الطرف التاسع:** الشهود الذين كانوا من أقارب زوجة العزيز.
- **الطرف العاشر:** السجناء.
- **الطرف الحادي عشر:** الملك.

3- عينات من خطاب المشاركين في الخطاب:

مصدر الخطاب	الخطاب	علاقته بالإطار العام
الذات الإلهية	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]	الإشارة إلى ما في الكتاب من العبر والمعجزات الدالة على شمولية القرآن الكريم
الرسول صلى الله عليه وسلم	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3]	الدعوة إلى الامتثال وأخذ العبرة من أحسن القصص سورة يوسف عليه السلام
يوسف عليه السلام	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[4]	تكريم يوسف بنبوة

[1] سورة يوسف الآية 01.
[2] سورة يوسف الآية 02.
[3] سورة يوسف الآية 03.
[4] سورة يوسف الآية 04.

يوسف عليه السلام	﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2]	تكريم يوسف بنبوة
يعقوب عليه السلام	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[4]	تحذيره من كيد إخوته
إخوة يوسف عليه السلام	﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[5] ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[6] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[7]	حقد الإخوة ومكرهم

[1] سورة يوسف الآية 06.
[2] سورة يوسف الآية 22.
[3] سورة يوسف الآية 05.
[4] سورة يوسف الآية 13.
[5] سورة يوسف الآية 08.
[6] سورة يوسف الآية 09.
[7] سورة يوسف الآية 10.

التجار	﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1] ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[2]	خروج يوسف عليه السلام من غيابة الجبّ
عزيز مصر	﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3]	تكفل العزيز بيوسف
امرأة العزيز	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[4] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[5] ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ	كيد النساء

[1] سورة يوسف الآية 19.
[2] سورة يوسف الآية 20.
[3] سورة يوسف الآية 21.
[4] سورة يوسف الآية 23.
[5] سورة يوسف الآية 24.

	﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[1]	
السجناء	﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]	قدرته على تفسير الرؤى
الملك	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[3] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[5]	قدرته على تفسير الرؤى

يتضح لنا من الجدول أنّ هناك علاقة وطيدة بين الشخصيات المسؤولة عن دوران القصة والأحداث والأخبار التي تنقلها هذه السورة، والشخصيات في قصة يوسف متنوعة وتختلف مدة ظهورها حسب الأدوار التي تقوم بها، فهناك شخصيات تستمر أدوارها من بداية

[1] سورة يوسف الآية 32.
[2] سورة يوسف الآية 36.
[3] سورة يوسف الآية 43.
[4] سورة يوسف الآية 46.
[5] سورة يوسف الآية 50.

القصة حتى نهايتها، ومثال على ذلك يوسف عليه السلام فهو محور القصة؛ أي الشخصية الرئيسية التي تقوم عليها الأحداث، وأيضا شخصية يعقوب عليه السلام وإخوته.

أي أنّه لا يمكن الفصل بين الأحداث والشخصيات لأنّ النص يدور حول هذه الخطابات المتنوعة التي يتحقق بها التماسك النصي.

التغريض:

قلنا سابقا أنّ للتغريض علاقة بعنوان النص، فهو وسيلة من وسائل التغريض التي تؤثر في عملية تأويل النص كله، لأنّ التغريض يتحكم في كيفية انتظام الخطاب من بدايته إلى آخره، فغالبا عند ملاحظتنا للعنوان نتوقع أن يكون هو محور النص، أو هو الفكرة الأساسية التي يقوم عليها.

بداية قبل الولوج في السورة تسقط عيناك على العنوان، من الوهلة الأولى يتبادر إلى ذهنك أنّ السورة و بالأخص سورة يوسف لأنّها موضوع بحثنا أنّها توحي موضوع القصة أو السورة ككل.

ستدرك من اسم السورة أنّ كل الأحداث تدور في فلك هذا الاسم يوسف عليه السلام تتشوق إلى معرفتها ومعرفة صاحبها، بالاستعانة إلى مجموعة من العوامل التي من شأنها أن توصلك وتجيبك على كل التساؤلات التي تراودك.

وذلك بإنشاء العلاقات التي تربطك بهذه السورة، فمثلا تتجه مباشرة إلى موقعها من النص؛ أي القرآن الكريم، فنحن على دراية مسبقة بأنّ القرآن الكريم هو كتاب التشريع أو دستور الحياة، فإذن هناك علاقة لا محال بين سورة يوسف والتشريع لابد من وجود هدف أو عبرة أو حكمة يريد بها التعبير عن واقعا ما.

اسم يوسف من القراءة الأولية له وتداخل المكتسبات والمعارف السابقة يوحي إلى القارئ عدة أمور من بينها:

- علاقة الإنسان بخالقه (العناية الإلهية).

- علاقة الإنسان ببني جنسه من البشر.
- علاقة الإنسان بالكون (المسخرات).

أماعن السورة انقسمت إلى مقاطع التي تجسد فيها التغريض بمجموعة من الآليات التي تحقق التماسك النصي، ومن نماذجها ما يلي:

1- المقطع الأول: من الآية (1) إلى الآية (6) ⟵بيان قدرة الله تعالى.

2- المقطع الثاني: من الآية (7) إلى الآية (10) ⟵العبرة والموعظة من قصة يوسف.

3- المقطع الثالث: من الآية (11) إلى الآية (18) ⟵الحذر من كيد الإخوة.

4- المقطع الرابع: من الآية (19) إلى الآية (21) ⟵نجاة يوسف من البئر.

5- المقطع الخامس: من الآية (22) إلى الآية (29) ⟵محنة الشهوة والإغراء.

6- المقطع السادس: من الآية (30) إلى الآية (35) ⟵كيد النساء.

7- المقطع السابع: من الآية (36) إلى الآية (42) ⟵محنة يوسف (السجن).

8- المقطع الثامن: من الآية (43) إلى الآية (49) ⟵موهبة تفسير الرؤى.

9- المقطع التاسع: من الآية (50) إلى الآية (57) ⟵براءة يوسف وتكليفه على خزائن الأرض.

10- المقطع العاشر: من الآية (58) إلى الآية (68) ⟵لقاء يوسف بإخوته.

11- المقطع الحادي عشر: من الآية (69) إلى الآية (82) ⟵حيلة يوسف لضم أخيه.

12- المقطع الثاني عشر: من الآية (83) إلى الآية (88) ⟵ بعد الضيق يأتي الفرج.

13- المقطع الثالث عشر: من الآية (89) إلى الآية (94) ⟵مصارحة يوسف لإخوته.

14- المقطع الرابع عشر: من الآية (95) إلى الآية (99) ⟵عفو يوسف عن إخوته.

15- المقطع الخامس عشر: من الآية (100) إلى الآية (101) ⟵ لقاء يوسف بأبويه وتحقق الرؤيا.

16- المقطع السادس عشر: من الآية (102) إلى المقطع (103) ⟵أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

17- المقطع السابع عشر: من الآية (104) إلى المقطع (111) ⟵الدعوة إلى السير على خطى محمد صلى الله عليه وسلم.

نلاحظ من هذه المقاطع أنّ هناك حضورا قويا للنصية وأدوارها في تحقيق التماسك، وقد بنيت بناء محكما من حيث وحدة الموضوع وتجانس في أداء المعاني، فاشترك فيها الفن والإحساس وتزاوجت فيها الألوان والسمات قصد تشكيل البنية القصصية على ما هي عليها الآن، إذ جاء ترتيبها للأحداث في تناسق وتسلسل، كان الغرض من القصة أو من سرد أحداثها لما فيها من تربية وعواطف وانعكاسات نفسية تؤثر في الأشخاص وسلوكياتهم بأسلوب واقعي لا يتخلله الخيال.

فهي مخططة لمنهجية مرتبة ابتدأت بحلم وانتهت بتحقيق ذلك الحلم عن طريق أحداث هذه القصة بين صراع وشر وخير، والفضيلة والرذيلة.

قصة يوسف قصة إنسانية ذات بناء محبك ومحكم فيه موعظة وحكمة من الله عز وجل

خاتمة

خاتمة:

وفاءا لكل المقاصد السابقة قمت في هذا البحث المتواضع باستخلاص بعض النتائج التي هي عبارة عن صيغة من المقترحات العلمية، الهدف من ورائها إبراز أهم النقاط التي تكشف عن أهمية الدراسة النصية بغية الوقوف على مبادئها وأسسها ومن أهميتها ما يلي:

– لسانيات النص فرع لساني جديد يعنى بدراسة النصوص وتماسكها والآليات التي تؤدي إلى تلاحمها وانسجامها، مع التركيز على وظائف النص التبليغية التواصلية سواء كانت تلك النصوص شفوية أم كتابية.

– لسانيات النص تدرس النص على أساس أنّه فضاء واسع ممتد من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة.

– طبيعة الدراسة النصية تكشف عن العلاقات القائمة بين الجمل وكيفية بناء النص.

– تسعى لسانيات النص من خلال دراستها تقديم بعض الصور التحليلية التي تعالج النص في شكله المنطوق أو المكتوب.

– النص أصبح موضوع اللسانيات بامتياز بعدما تناولته بالدراسة والتمحيص، حتى أنّها اعتبرته بنية مجردة تحتوي على مكونات نصية، كما أنّها تهتم بجميع الكيفيات التي يظهر فيها بصورة متسقة ومنسجمة ذات وحدة كلية متناغمة.

– عند الحديث عن آليات التماسك النصي فإنّنا نمهد لثبات النص واستقراره، فكلما كان النص مبني على ضوابط تسيرها تقنيات التماسك كلما أصبح النص في لحمة واحدة.

– إنّ أهم العناصر النصية التي يمكن الإشارة إليها والتنويه لها هي الجملة باعتبارها أهم جزء من أجزاء النص، أو كما يقال عليها البنية الأولى التي يبنى عليها النص.

– الترابط النصي من أهم الظواهر النصية التي يقوم عليها النص، فهي التي تحدد نصيته أي تميزه عن اللانص.

– خاصية التماسك النصي هي التي تحيط بالنص داخليا وخارجيا مع الاهتمام بالسياق.

– النص بنية ذات عناصر مركبة ومنظمة مع بعضها البعض متكاملة فيما بينها منسجمة ومتسقة تحمل دلالة ضمنية وسطحية، نراعي فيها مستويات متعددة لتكوين البنية الكلية للنص، ولا يتحقق هذا التماسك إلاّ بدراية كاملة بكل الآليات التي تستخدم في هذا الالتحام الواقع بين مكوناته.

– الاتساق والانسجام من أهم المفاهيم التي ركزت عليها لسانيات النص للإشارة على مجموعة من الروابط التي تتحكم في ترابط النص وتماسكه.

– إنّ الاتساق مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص.

– أدوات الاتساق المحققة للتماسك تتمثل في الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والتكرار والتضام.

– للإحالة دور فعال في تماسك النصوص، وقد تجلى هذا في قصة يوسف عليه السلام من خلال ربط آيات السورة بسابقها ولاحقها، مما جعل النص يبدو كقطعة واحدة متجانسة يربط بعضها بعض.

– يختص الانسجام بتماسك والتحام المعاني في النص عن طريق مجموعة من الآليات الدلالية كالسياق، البنية الكلية، ترتيب الخطاب والتضام وغيرها.

– تناولت سورة يوسف الإحالة بكل أنواعها المختلفة التي كان لها أثر كبير في تحقيق عملية التماسك النصي في السورة الكريمة.

ومن هذه النتائج تبين أنّ سورة يوسف قابلة للتحليل كغيرها من النصوص القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- ابتسام عمر العمودي: المختارات من المناسبات بين السور والآيات، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ط1، 2015م.

3- ابن منظور: لسان العرب، دار المعرفة، مصر، ج6، مادة نص.

4- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرف، مصر، ط1، 2001م.

5- أحمد نوفل: سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، الأردن، ط1، .1989

6- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، القاموس المحيط، بيروت، دار المعارف بيروت، 1982م، مادة نص.

7- الفيروز أبادي: مجد الدين محمد: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد الثاني.

8- بشير ابرير: رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية اللغوية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009م.

9- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، ط1، 2015م.

10- خليل بن ياسر الباطشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، 2009م.

11- روبرت دي بوجراند: ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط1، 1998م.

12- سالم بن محمد المنظري: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات البنيوية، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، ط1، 2015م.

13- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق «دراسة تطبيقية على السور المكية»، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج2، ط1، 2000م.

14- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ج1، ط1، 2000م.

15- عبد الفتاح كليطو: الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار كريتال للنشر، المغرب، ط3، 2006م.

16- عبد القادر أحمد عبد القادر: إعراب سورة يوسف، مكتبة السندس، ط1، 1989م.

17- عبد القادر شرشال: تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، الجزائر، ط1، 2009م.

18- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، المفهوم- العلاقة- السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2008م.

19- عيسى بن السيد جواد الوداعي: التماسك النصي في نهج البلاغة، المركز العلمي للرسائل والأطاريح، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2010م.

20- للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، 701-774هـ.

21- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1.

22- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001م.

23- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

24- محمد عمار: النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد، نهضة مصر، ط1، 2007م.

25- ناصر بن سليمان العمر: تدبر سورة يوسف، تهذيب آيات للسائلين، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، 2015م.

26- يسرى نوفل: المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014م.

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ– د
مدخل: مفاهيم أولية	
أولا: مفهوم النص	01
1– المفهوم اللغوي	01
2– المفهوم الاصطلاحي	02
ثانيا: مفهوم النص من التراث إلى المعاصر	05
1– النص في الثقافة العربية	05
2– النص في الثقافة الغربية	06
الفصل الأول: ماهية لسانيات النص	
المبحث الأول: لسانيات النص وأهم مقارباتها	11
المبحث الثاني: منهجية لسانيات النص	21
المبحث الثالث: أهمية الدراسة النصية	29
الفصل الثاني: التماسك النصي	
المبحث الأول: التماسك النصي مفهومه وأهميته	37
المبحث الثاني: الاتساق مفهومه وآلياته	43
المبحث الثالث: الانسجام مفهومه وآلياته	59
الفصل الثالث: آليات التماسك النصي في سورة يوسف عليه السلام	
المبحث الأول: آليات الترابط التركيبية	77
المبحث الثاني: آليات الترابط المعجمية	90
المبحث الثالث: آليات الترابط الدلالية	92
خاتمة	112
قائمة المصادر والمراجع	115
فهرس الموضوعات	119

ملخص:

يحاول هذا البحث الكشف عن إحدى زوايا التماسك النصي، إذ هو جانب يعنى بتحديد أوجه التماسك داخل النصوص والبحث في الوسائل التي تحقق التلاحم بين مجموعة من الجمل المتماسكة، وتقوم هذه الدراسة على رصد آليات التماسك النصي في سورة يوسف عليه السلام، بالكشف على آليات الاتساق كالإحالة والحذف والوصل والاتساق المعجمي وآليات الانسجام البنية الكلية وترتيب الخطاب والتغريض، فقصة يوسف عليه السلام امتازت بقوة الأحكام والربط ذات وحدة موضوعية فريدة لم تتحقق لأي قصة من قصص الأنبياء.

Résumé:

Cette recherche tente de découvrir un aspect de la cohésion textuelle car elle consiste à identifier les aspects de le cohésion dans les textes et à rechercher les moyens de parvenir à la cohésion entre un ensemble de phrases cohérentes, cohérence lexicale, mécanismes d'harmonie structurale et ordre de le parole, l'histoire de youcef la paix soit sur lui était caractérisée par la force des jugements et des liens, avec une unité objective unique qui ne matérialisait aucune histoire des prophètes.